
الروضة
في بيان أن الأسرة سكن ومودة
سيد عبد العاطي بن محمد الذهبي

بسم الله الرحمن الرحيم

الروضة

في بيان أن الأسرة سكن ومودة

الشيخ

سيد عبد العاطي بن محمد الذهبي

المقدمة

الْحَمْدُ لِله رَبّ الأَرْبَاب، وَمُجْرِي السَّحَابِ، وَهَازِمِ الأَحْزَاب، وَمُنَزِّلِ الْكِتَاب، وَمُسَبِّبِ الأَسْبَابِ، وَخَالِقِ الْبَحْرِ العُبَاب، بَثَّ فِي الْكَوْنِ آيَاتِ عَظَمَتِهِ لِيَتَدَبَّرَ وَيَتَّعِظَ أُولُواالأَلْبَابِ،وَعَدَ عِبَادَهُ الصَّالِحِينَ الْمُتَّقِينَ عَظِيم الثَّوَابِ، وَتَوَعَّدَ الْمُعْرِضِينَ الْمُعَانِدِينَ بِأَلِيمِ الْعِقَابِ وَأَشْهَدُ أَن لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ لا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا ظَهَرَ لِلأَعْيُنِ وَمَا عَنْهَا غَابَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا وَحَبِيبَنَا مُحَمَّداً عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى الآلِ وَالأَصْحَابِ.

•أَمَّا بَعْدُ:

•فَاعْلَمْ يَا طَالِبَ الْعِلْمِ-رَحِمَنِي اللهُ وَإِيَّاكَ-

أنَّ الْأُسْرَةَ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْأسْرِ،وَالْأسْرُ هُوَ الْقَيْدُ،وَالْقَيْدُ يَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ:

-الْأَوَّلُ:قَيْدٌ إجْبَارِيٌّ عِنْدَمَا يَرْتَكِبُ الْمَرْءُ جُرْمًا فَيُقَيَّدُ بِالْحَبْسِ أوِ السَّجْنِ عُقُوبَةً عَلَى مَا اقْتَرَفَ.

-الثَّانِي:قَيْدٌ اخْتِيَارِيٌّ يَسْعَى إِلَيْهِ الْمَرْءُ مُخْتَارًا،وَقَدْ جُبِلَ عَلَيْهِ فِطْرَةً،وَهُوَ بَحْثُهُ عَنْ زَوْجَةٍ يُكَوِّنُ بِهَا أُسْرَةً وَسَكَنًا،وَلَا سَبِيلَ للسَّكَنِ وَالْمَوَدَّةِ إِلَّا إذا أقَامَ الْمَرْءُ أُسْرَتَهُ عَلَى أسَاسٍ مِنْ تَقْوَى اللهِ تَعَالَى.

•وَفِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ الْمُخْتَصَرَةِ وَالَّتِي عَنْوَنْتُ لَهَا بِهَذَا الْعُنْوَانِ(الرَّوْضَةُ فِي بَيَانِ أنَّ الْأُسْرَةَ سَكَنٌ وَمَوَدَّةٌ)سَأطَوِّفُ بِكَ حَوْلَ هَذِهِ الْمَعَانِي الْجَمِيلَةِ للسَّكَنِ وَالْمَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ بَيْنَ أفْرَادِ الْأُسْرَةِ عَلَى النَّحْوِ التَّالِي:



•فالزَّوَاجَ شعِيرةٌ ربَّانِيَّةٌ،نعَمْ شعِيرة ربَّانِيَّة فقَدْ جعَلَهُ اللهُ آيةً مِنْ آياتِهِ الْكَوْنِيَّة الدَّالَّة عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَقيُّومِيَّتِهِ فقَال تعَالَى:{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }.(الرُّوم:٢١).

–يقُولُ الْعَلَّامَةُ عَبْدُ الرَّحْمَن بْن نَاصِر السَّعْدِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تعَالَى–فِي تفْسِيرِهَا:{ وَمِنْ آيَاتِهِ } الدَّالَّةُ عَلَى رَحْمَتِهِ وَعِنَايَتِهِ بِعِبَادِهِ وَحِكْمَتِهِ الْعَظِيمَةِ وَعِلْمِهِ الْمُحِيطِ، { أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا } تُنَاسِبُكُمْ وَتُنَاسِبُونَهُنَّ وَتُشَاكِلُكُمْ وَتُشَاكِلُونَهُنَّ { لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً } بِمَا رَتَّبَ عَلَى الزَّوَاجِ مِنَ الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِلمَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ،فَحَصَلَ بِالزَّوْجَةِ الاسْتِمْتَاعُ وَاللَّذَّةُ وَالْمَنْفَعَةُ بِوُجُودِ الْأَوْلَادِ وَتَرْبِيَتِهِمْ، وَالسُّكُونِ إِلَيْهَا، فَلَا تَجِد بَيْنَ أَحَدٍ فِي الْغَالِبِ مِثْلَ مَا بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ مِنَ الْمَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ، { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } يُعْمِلُونَ أَفْكَارَهُمْ وَيَتَدَبَّرُونَ آيَاتِ اللهِ وَيَنْتَقِلُونَ مِنْ شَيءٍ إِلَى شَيءٍ}.



•وَالزَّوَاجُ سُنَّةٌ نبَوِيَّةٌ فَقَدْ أخرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تعَالَى–فِي صَحِيحِهِ برَقَمِ(٤٧٧٦)مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ–رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–قَالَ:{جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ أَحَدُهُمْ أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ

وَلَا أُفْطِرُ وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَس...



•الزَّوَاجُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ تَعَالَى الدَّالَّةِ عَلَى عَظِيمِ قُدْرَتِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ وَعَظَمَتِهِ وَعِلْمِهِ وَرَحْمَتِهِ وَعِنَايَتِهِ بِعِبَادِهِ وَحِكْمَتِهِ الْعَظِيمَةِ.

•قَالَ اللهُ تَعَالَى:

{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}. (الرُّوم: ٢١).

–وَآيَاتُ اللهِ تَعَالَى تَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ:

•الْأَوَّلُ:الْآيَاتُ الْكَوْنِيَّةُ الْقَدَرِيَّةُ:

وَهِيَ:الْعَلَامَاتُ الْكَوْنِيَّةُ الْقَدَرِيَّةُ الَّتِي يَعْرِفُ مِنْ خِلَالِهَا أَصْحَابُ الْعُقُولِ الصَّحِيحَةِ وَالْفِطَرِ السَّلِيمَةِ أَنَّ خَالِقَهَا هُوَ الرَّبُّ الْمَعْبُودُ جَلَّ وَعَلَا،وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى جُمْلَةً مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ فِي سُورَةِ الرُّومِ قَبْلَ آيَةِ الزَّوَاجِ نَذْكُرُ مِنْهَا:

–قَوْلُهُ تَعَالَى:{فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ (١٨) يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (١٩) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ }.(الرُّوم:١٧–٢٠).

-وَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ:{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}.(البقرة:١٦٤).

-وَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ:{فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٩٦) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}.(الأنعام:٩٧).

-وَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ فُصِّلَتْ:{قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ }. (فصّلت:٩-١٢).

-فَالْآيَاتُ الْكَوْنِيَّةُ الْقَدَرِيَّةُ هِيَ الْمَخْلُوقَاتُ الَّتِي بَثَّهَا اللهُ تَعَالَى فِي كَوْنِهِ كَعَلَامَاتٍ وَاضِحَاتٍ،وَبَرَاهِين سَاطِعَاتٍ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللهِ تَعَالَى وَأَنَّهُ الْخَالِقُ الْمُدَبِّرُ الْمَالِكُ،وَمِنْ هَذِهِ الْعَلَامَاتِ آيَةُ الزَّوَاجِ وَخَلْقُ الزَّوْجَةِ مِنْ جِنْسِ. الزَّوْجِ فَسُبْحَان اللهِ الْعَظِيمِ.



•الثَّانِي:الْآيَاتُ الدِّينِيَّةُ الشَّرْعِيَّةُ:

–فَالْآيَاتُ الدِّينيَّةُ الشَّرْعِيَّةُ هِيَ: كُتُبُهُ سُبْحَانَهُ الْمُنَزَّلَةُ عَلَى أنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ وَمَا فِيهَا مِنْ أمْرِهِ وَنَهْيِهِ، فَأطَاعَهَا الْأبْرَارُ، وَعَصَاهَا الْفُجَّارُ،وَمِنْ أمْثِلَةِ الْآيَاتِ الدِّينِيَّةِ الشَّرْعِيَّةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الَّذِي هُوَ أعْظَمُ الْآيَاتِ الدِّينِيَّةِ الشَّرْعِيَّةِ:

–قَوْلُهُ تَعَالَى:{كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ}. (ص:٢٩).

–وَقَوْلُهُ تَعَالَى:{وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}.(لقمان:٧).

–وَقَوْلُهُ تَعَالَى:{إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ}.(المطففين:١٣).

–فَالْفُجَّارُ كَذَّبُوا آيَاتِ اللهِ الدِّينِيَّةَ (الْقُرْآن الْكَرِيم)وَزَعَمُوا أَنَّهَا مِنْ تُرَّهَاتُ الْمُتَقَدِّمِينَ ،وَأخْبَارِ الْأُمَمِ الْغَابِرِينَ، لَيْسَتْ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَكَبُّرًا وَعِنَادًا.

–وَالْأبْرَارُ أوْلِيَاءُ اللهِ الْمُتَّقُونَ هُمُ الَّذِينَ فَعَلُوا الْمَأمُورَ، وَتَرَكُوا الْمَحْظُورَ، وَصَبَرُوا عَلَى الْمَقْدُورِ، فَأحَبَّهُمُ اللهُ تَعَالَى وَأحَبُّوهُ، وَرَضِيَ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ.

–فَخَلْقُ الزَّوْجَةِ مِنْ جِنْسِ الزَّوْجِ آيَةٌ كَوْنِيَّةٌ قَدَرِيَّةٌ،وَتَنْظِيمُ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ دَاخِلَ الْبِنَاءِ الْأسَرِيّ عَلَى السَّكَنِ وَالْمَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ وَحُسْنِ الْعِشْرَةِ وَالْحُقُوقِ وَالْوَاجِبَاتِ مِنَ الْآيَاتِ الدِّينِيَّةِ الشَّرْعِيَّةِ.

–فَقَوْلُهُ تَعَالَى:{وَمِنْ آيَاتِهِ أنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أنْفُسِكُمْ أزْوَاجاً} أيْ أنَّ خَلْقَ الزَّوْجَةِ مِنْ جِنْسِ الزَّوْجِ آيَةٌ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَتِهِ، وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَعَظَمَتِهِ، وَعِلْمِهِ، وَرَحْمَتِهِ، وَعِنَايَتِهِ بِعِبَادِهِ، وَحِكْمَتِهِ الْعَظِيمَةِ.

[٣:١٩ م، ٤/١٠/٢٠٢٢] سيد عبد العاطى: –وَقَوْلُهُ:{أنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أنْفُسِكُمْ} جُمْهُورُ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى أنَّ الْخِطَابَ مُوَجَّهٌ لِلرِّجَالِ

خَاصَّةً،وَبَعْضُ أهْلِ الْعِلْمِ كَالْحَافِظِ ابْنِ كَثِيرٍ،وَصَاحِبِ التَّفْسِيرِ الْكَبِيرِ،وَالطَّاهِرِ بْنِ عَاشُور–رَحِمَ اللهُ تَعَالَى الْجَمِيعَ–يَرَوْنَ أنَّ الْخِطَابَ مُتَوَجِّهٌ لِجَمِيعِ النَّاسِ،لِنَوْعِ الْإِنْسَانِ،للرِّجَالِ وَللنِّسَاءِ،فَالزَّوْجُ يُقَالُ: للرَّجُلِ كَمَا أنَّهُ يُقَالُ: للمَرْأةِ، وَهِيَ اللُّغَةُ الْفَصِيحَةُ الَّتِي لَمْ يُسْتَعْمَلْ فِي الْقُرْآنِ غَيْرُهَا، أمَّا لَفْظَةُ الزَّوْجَةِ للمَرْأةِ فَإنَّ ذَلِكَ إنَّمَا جَاءَ فِي الاسْتِعْمَالِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ فِي لُغَيَّةٍ قَلِيلَةٍ، أمَّا اللُّغَةُ الْأفْصَحُ، اللُّغَةُ الشَّائِعَةُ، فَإنَّ الْمَرْأةَ يُقَالُ لَهَا: زَوْجٌ مَعَ التَّنْبِيه عَلَى أنّ...

[٣:١٩ م، ٤/١٠/٢٠٢٢] سيد عبد العاطى: •قَوْلُهُ:{وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً} أيْ:بِمَا رَتَّبَ عَلَى الزَّوَاجِ مِنَ الْأسْبَابِ الْجَالِبَةِ للمَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ.

فَحَصَلَ بِالزَّوْجَةِ الاسْتِمْتَاعُ وَاللَّذَّةُ وَالْمَنْفَعَةُ بِوُجُودِ الْأوْلَادِ وَتَرْبِيَتِهِمْ، وَالسُّكُونُ إلَيْهَا، فَلَا تَجِدُ بَيْنَ أحَدٍ فِي الْغَالِبِ مِثْلَ مَا بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ مِنَ الْمَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ كَمَا قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ.

–وَللشَّيْخِ الطَّاهِر بْنِ عَاشُور–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–كَلَامٌ طَيِّبٌ مُفِيدٌ فِي تَفْسِيرِهِ الْمَوْسُوم ب(بِالتَّحْرِيرِ وَالتَّنْوِير)لِهَذِهِ الْآيَةِ:

{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}.(الرُّوم:٢١).

–حَيْثُ قَالَ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–:{هَذِهِ آيَةٌ ثَانِيَةٌ فِيهَا عِظَةٌ وَتَذْكِيرٌ بِنِظَامِ النَّاسِ الْعَام وَهُوَ نِظَامُ الازْدِوَاجِ وَكَيْنُونَةِ الْعَائِلَةِ وَأسَاسِ التَّنَاسُلِ ، وَهُوَ نِظَامٌ عَجِيبٌ جَعَلَهُ اللهُ مُرْتَكِزاً فِي الْجِبِلَّةِ لَا يَشِذُّ عَنْهُ إلَّا الشُّذَّاذُ .

وَهِيَ آيَةٌ تَنْطَوِي عَلَى عِدَّةِ آيَاتٍ مِنْهَا : أنْ جُعِلَ للإنْسَانِ نَامُوسُ التَّنَاسُلِ ، وَأنْ جُعِلَ تَنَاسُلُهُ بِالتَّزَاوُجِ وَلَمْ يَجْعَلْهُ كَتَنَاسُلِ النَّبَاتِ مِنْ نَفْسِهِ ، وَأنْ جَعَلَ أزْوَاجَ الْإنْسَانَ مِنْ صِنْفِهِ وَلَمْ يَجْعَلْهَا مِنْ صِنْفٍ آخر لأنَّ التَّأنُّس لَا يَحْصُلُ بِصِنْفٍ مُخَالِفٍ ، وَأنْ جَعَلَ فِي ذَلِكَ التَّزَاوُجِ

أُنْسًا بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ وَلَمْ يَجْعَلْهُ تَزَاوُجًا عَنِيفًا أوْ مُهْلِكًا كَتَزَاوُجِ الضَّفَادِعِ ، وَأنْ جعَلَ بَيْنَ كُلِّ زَوْجَيْنِ مَوَدَّةً وَمَحَبَّةً فَالزَّوْجَانِ يَكُونَانِ مِنْ قَبْلِ التَّزَاوُجِ مُتَجَاهِلَيْنِ فَيُصْبِحَانِ بَعْدَ التَّزَاوُجِ مُتَحَابَيْنِ ، وَأنْ جَعَلَ بَيْنَهُمَا رَحْمَةً فَهُمَا قَبْلَ التَّزَاوُجِ لَا عَاطِفَة بَيْنَهُمَا فَيُصْبِحَانِ بَعْدَهُ مُتَرَاحِمَيْنِ كَرَحْمَةِ الْأُبُوَّةِ وَالْأُمُومَةِ ، وَلِأَجْلِ مَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ هَذَا الدَّلِيلُ وَيَتْبَعُهُ مِنَ النِّعَمِ وَالدَّلَائِلِ جُعِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ آيَاتٍ عِدَّةً فِي قَوْلِهِ { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }.وَهَذِهِ الْآيَةُ كَائِنَةٌ فِي خَلْقِ جَوْهَرِ الصِّنْفَيْنِ مِنَ الْإِنْسَانِ :صِنْفِ الذَّكَرِ،وَصِنْفِ

الْأُنْثَى ، وَإِيدَاعِ نِظَامِ الْإِقْبَالِ بَيْنَهُمَا فِي جِبِلَّتِهِمَا.وَذَلِكَ مِنَ الذَّاتِيَّاتِ النِّسْبِيَّةِ بَيْنَ الصِّنْفَيْنِ . وَقَدْ أدْمَجَ فِي الاعْتِبَارِ بِهَذِهِ الْآيَةِ امْتِنَان بِنِعْمَةٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أشَارَ إِلَيْهَا قَوْلُهُ { لَكُمْ } أيْ لِأجْلِ نَفْعِكُمْ .

وَ { لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } مُتَعَلِّقٌ ب { آيَات } لِمَا فِيهِ مِنْ مَعْنَى الدَّلَالَةِ.وَجُعِلَتِ الْآيَاتُ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ لأنَّ التَّفَكُّرَ وَالنَّظَرَ فِي تِلْكَ الدَّلَائِلِ هُوَ الَّذِي يُجَلِّي كُنْهَهَا وَيَزِيدُ النَّاظِرَ بَصَارَةً بِمَنَافِع أخْرَى فِي ضِمْنِهَا .

وَالَّذِينَ يَتَفَكَّرُونَ : الْمُؤْمِنُونَ وَأهْلُ الرَّأْيِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بَعْدَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ . وَالْخِطَابُ فِي قَوْلِهِ { أنْ خَلَقَ لَكُمْ } لِجَمِيعِ نَوْعِ الْإِنْسَانِ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ .

وَالزَّوْجُ : هُوَ الَّذِي بِهِ يَصِيرُ للوَاحِدِ ثَانِ فَيُطْلَقُ عَلَى امْرَأةِ الرَّجُلِ وَرَجُلِ الْمَرْأةِ فَجَعَلَ اللهُ لِكُلِ فَرْدٍ زَوْجَهُ .

وَمَعْنَى { مِنْ أنْفُسِكُم } مِنْ نَوْعِكُمْ ، فَجَمِيعُ الْأزْوَاجِ مِنْ نَوْعِ النَّاسِ ، وَأمَّا قَوْل تَأبَّط شَرًّا :

وَتَزَوَّجْتُ فِي الشَّبِيبَةِ غُولاً

بِغَزَالٍ وَصَدقَتي زِقّ خَمْرٍ

فَمِنْ تَكَاذِيبِهِمْ ، وَكَذَلِكَ مَا يَزْعُمُهُ الْمُشَعْوِذُونَ مِنَ التَّزَوُّجِ بِالْجِنِّيَّاتِ وَمَا يَزْعُمُهُ أَهْلُ الْخُرَافَاتِ وَالرِّوَايَاتِ مِنْ وُجُودِ بَنَاتٍ فِي الْبَحْرِ وَأَنَّهَا قَدْ يَتَزَوَّجُ بَعْضُ الْإِنْسِ بِبَعْضِهَا .

وَالسُّكُونُ : هُنَا مُسْتَعَارٌ للتَّأَنُّسِ وَفَرِحِ النَّفْسِ لأنَّ فِي ذَلِكَ زَوَالَ اضْطِرَابِ الْوَحْشَةِ وَالْكَمَدِ بِالسُّكُونِ الَّذِي هُوَ زَوَالُ اضْطِرَابِ الْجِسْمِ كَمَا قَالُوا : اطْمَأَنَّ إِلَى كَذَا وَانْقَطَعَ إِلَى كَذَا .

وَضَمَّنَ { لِتَسْكِنوا } مَعْنَى لِتَمِيلُوا فَعُدِّيَ بِحَرْفِ (إِلَى) وَإِنْ كَانَ حَقُّهُ أَنْ يُعَلَّقَ ب (عِنْدَ) وَنَحْوِهَا مِنَ الظُّرُوفِ .

وَالْمَوَدَّةُ : الْمَحَبَّةُ ، وَالرَّحْمَةُ : صِفَةٌ تَبْعَثُ عَلَى حُسْنِ الْمُعَامَلَةِ .

وَإِنَّمَا جُعِلَ فِي ذَلِكَ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ بِاعْتِبَارِ اشْتِمَالِ ذَلِكَ الْخُلُقِ عَلَى دَقَائِقَ كَثِيرَةٍ مُتَوَلِّدٌ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ يُظْهِرُهَا التَّأَمُّلُ وَالتَّدَبُّرُ بِحَيْثُ يَتَجَمَّعُ مِنْهَا آيَاتٌ كَثِيرَةٌ .

وَاللَّامُ فِي قَوْلِهِ { لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } مَعْنَاهُ شَبَهُ التَّمْلِيكِ وَهُوَ مَعْنَى أَثْبَتَهُ صَاحِبُ (مُغْنِي اللَّبِيبِ) وَيَظْهَرُ أَنَّهُ وَاسِطَةٌ بَيْنَ مَعْنَى التَّمْلِيكِ وَمَعْنَى التَّعْلِيلِ . وَمَثَّلَهُ فِي (الْمُغْنِي) بِقَوْلِهِ تَعَالَى { جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا }.(النَّحل : ٧٢) وَذَكَرَ فِي الْمَعْنَى الْعِشْرِينَ مِنْ مَعَانِي اللَّامِ أَنَّ ابْنَ مَالِكٍ فِي (كَافِيَتِهِ) سَمَّاهُ لَامَ التَّعْدِيَةِ وَلَعَلَّهُ يُرِيدُ تَعْدِيَةً خَاصَّةً ، وَمَثَّلَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى { فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا }.(مريم : ٥) .

•فغَايَةُ الزَّوَاجِ قِيَامُ الْمَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ وَدَوَامُ الْعَطْفِ ،فَإِنْ كَانَتْ الْمُعَاشَرَةُ بِالْوَطْء بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ إِشْبَاعًا للغَرِيزَةِ وَالاتِّصَالِ الْمَادِيّ،فَالْمَوَدَّةُ وَالرَّحْمَةُ إِشْبَاعًا لِحَاجَاتِ الرُّوحِ وَاتِّصَالِ النُّفُوسِ،فَإِذَا كَانَتْ الْأُسْرَةُ مَبْنِيَّةً عَلَى أَسَاسٍ مِنْ تَقْوَى اللهِ تَعَالَى،فَإِنَّ الْعِلَاقَةَ بَيْنَ الزَّوْجِينِ تَصِلُ لأَعْلَى الْمَرَاتِبِ مِنَ الْحُبِّ وَالْمَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ،وَتُصْبِحُ الصِّلَةُ الرُّوحِيَّةُ بَيْنَ الزَّوْجِينِ تَفُوقُ فِي غَالِبِ الْأَحْيَانِ الصِّلَةَ بَأَقْرَبِ النَّاسِ،وَتَسْتَمِرُّ حَتَّى سِنِّ الْكِبَرِ وَالْمَشِيبِ،وَلأَهْلِ الْعِلْمِ مَعَانِي لَطِيفَة فِي الْمَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ نَقَلَهَا الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ حَيْثُ قَالَ:{(وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ :

الْمَوَدَّةُ الْجِمَاعُ ، وَالرَّحْمَةُ الْوَلَدُ ؛ وَقَالَهُ الْحَسَنُ . وَقِيلَ : الْمَوَدَّةُ وَالرَّحْمَةُ عَطْفُ قُلُوبِهِمْ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ . وَقَالَ السُّدِّيُّ : الْمَوَدَّةُ : الْمَحَبَّةُ ، وَالرَّحْمَةُ : الشَّفَقَةُ ؛ وَرُوِيَ مَعْنَاهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : الْمَوَدَّةُ حِبُّ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ ، وَالرَّحْمَةُ رَحْمَتُهُ إِيَّاهَا أَنْ يُصِيبَهَا بِسُوءٍ }.



–وَلِكَيْ تَتحَقَّقَ الْمَوَدَّةُ وَالرَّحْمَةُ وَيَتحَقَّقَ السَّكَنِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ ،أقَامَ الْإسْلَامُ الْبَيْتَ الْمُسْلِمَ عَلَى أسَاسٍ مِنْ تَقْوَى اللهِ،فَجَعَل حُقُوقًا لِكُلٍّ مِنَ الزَّوْجَيْنِ عَلَى الْآخرِ،فَمِنْ حَقِّ الزَّوْجَةِ عَلَى زَوْجِهَا:الْمَهْرُ وَالسُّكْنَى وَالنَّفَقَةُ عَلَيْهَا،وَتَعْلِيمُهَا أمْرِ دِينِهَا ،

وَمُعَاشَرَتُهَا بِالْمَعْرُوفِ،وَعَلَى الزَّوْجَةِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ،وَتَمْكِينُ الزَّوْجِ مِنْ نَفْسِهَا إنْ طَلَبَهَا إلّا مِنْ عُذْرٍ كَحَيْضٍ أوْ مَرَضٍ،وَحِفْظِهِ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ وَعِيَالِهِ،وَألّا تَأذَن فِي بَيْتِهِ لأحَدٍ إلّا بِإذْنِهِ

،وَألّا تَخْرُج إلّا بِإذْنِهِ إلّا مِنْ ضَرُورَةٍ،وَإلَيْكَ بَعْضُ نُصُوصِ السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ الّتِي تُشِيرُ إلَى بَعْضِ مَاذَكَرْتُ وَمِنْهَا:

(١)مَا أخْرَجَهُ الْإمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٤٨٩٠)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ –رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ–عَنْ النَّبِيِّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–قَالَ:{ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا}.

(٢)وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي سُنَنِهِ بِرَقْمِ(٣٩٩٠)مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ–رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا–، قَالَتْ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: {خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي }.

(٣)وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَبُو دَاوُد–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي سُنَنِهِ بِرَقْمِ(٢١٤٢)مِنْ حَدِيثِ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْقُشَيْرِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا حَقُّ زَوْجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ قَالَ :{أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ أَوْ اكْتَسَبْتَ وَلَا تَضْرِبْ الْوَجْهَ وَلَا تُقَبِّحْ وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ }.قَالَ أَبُو دَاوُد:{وَلَا تُقَبِّحْ أَنْ تَقُولَ قَبَّحَكِ اللَّهُ}.

(٤)وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبَيْهَقِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–بِرَقْمِ(١٣٨٦٠)وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ بِرَقْمِ(١٨٤٩) مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُذَيْنَةَ الصَّدَفِيِّ –رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ–وَسَلْمَانِ بْنِ يَسَارٍ–رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–عَنْ رَسُولِ اللهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–قَالَ:{خَيْرُ نِسَائِكُمُ الْوَدُودُ الْوَلودُ،الْمُوَاتِيَةُ، المُوَاسِيَةُ، إِذَا اتَّقَيْنَ اللهَ ، وَ شَرُّ نِسَائِكُمُ المُتَبَرِّجَاتُ المُتَخَيِلاتُ ،وَهُنَّ المُنَافِقَاتُ ،لَا يَدْخلُ الجَنَّةَ مِنْهُنَّ إِلَّا مِثْلُ الْغُرَابِ الأَعْصَمِ}.

–جَاءَ فِي"التَّيْسِيرِ بِشَرْحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ"(١ / ٥٣٢) : " (خَيْرُ نِسَائِكُمْ الْوَلُود) أَيْ: الْكَثِيرَة الْوِلَادَةِ (الْوَدُودُ) أَيْ: الْمُتَحَبِّبَةُ إِلَى زَوْجِهَا (الْمُوَاسِيَةُ الْمُوَاتِيَةُ) أَيْ:الْمُوَافِقَةُ للزَّوْجِ (إِذَا اتَّقَيْنَ اللهَ) أَيْ : خِفْنَهُ فَأَطَعْنَهُ (وَشَرُّ نِسَائِكُمْ الْمُتَبَرِّجاتُ) أَيْ:الْمُظْهِرَاتُ زِينَتَهُنَّ للأَجَانِبِ، (الْمُتَخَيِّلَاتُ) أَيْ: الْمُعْجَبَاتُ الْمُتَكَبِّرَاتُ (وَهُنَّ الْمُنَافِقَاتُ) أَيْ: يُشْبِهْنَهُنَّ (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّة مِنْهُنَّ إِلَّا مِثْلُ الْغُرَابِ الْأَعْصَمِ) الْأَبْيَضُ الْجَنَاحينِ أوِ الرِّجْلَيْنِ أَرَادَ قِلَّة مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّة مِنْهُنَّ لأَنَّ هَذَا النَّعْتَ فِي الْغِرْبَانِ عَزِيزٌ" انتهى.

(٥)وَمَا أخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي الْمُسْنَدِ بِرَقَمِ(١٦١٩)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ–رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ–، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا،

وَصَامَتْ شَهْرَهَا،وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا،وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا قِيلَ لَهَا:ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ}.

(٦)وَمَا أخْرَجَهُ الْإِمَامُ ابْنُ مَاجه–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(١٨٥٨)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى –رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ–، قَالَ : {لَمَّا قَدِمَ مُعَاذٌ مِنَ الشَّامِ سَجَدَ لِلنَّبِيِّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–،قَالَ مَا هَذَا يَا مُعَاذُ ؟ قَالَ : أَتَيْتُ الشَّامَ فَوَافَقْتُهُمْ يَسْجُدُونَ لِأَسَاقِفَتِهِمْ وَبَطَارِقَتِهِمْ ، فَوَدِدْتُ فِي نَفْسِي أَنْ نَفْعَلَ ذَلِكَ بِكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَلَا تَفْعَلُوا ، فَإِنِّي لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِغَيْرِ اللَّهِ ، لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَا تُؤَدِّي الْمَرْأَةُ حَقَّ رَبِّهَا حَتَّى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا ، وَلَوْ سَأَلَهَا نَفْسَهَا وَهِيَ عَلَى قَتَبٍ لَمْ تَمْنَعْهُ}.

–فَبِهَذِهِ الْحُقُوقِ وَالْوَاجِبَاتِ يَتَحَقَّقُ السَّكَنُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ،وَتَتَحَقَّقُ الْمَوَدَّةُ وَالرَّحْمَةُ،وَتَكُونُ الْأُسْرَةُ سَكَنًا وَمَوَدَّةً.



–مِنْ خِلَالِ مَنْهَجِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ هُنَاكَ جُمْلَةٌ مِنَ الْوَصَايَا للزَّوْجِ إنْ قَامَ بِهَا خَيْرَ قِيَامٍ اسْتَطَاعَ أنْ يَكْسِبَ قَلْبَ زَوْجَتِهِ،

وَكَانَتْ الْأُسْرَةُ سَكَنًا وَمَوَدَّةً وَمِنْهَا:

(أ)ابْدَأ بِالسَّلَامِ عِنْدَ دُخُولِكَ الْبَيْتِ:

-أيُّهَا الزَّوْجُ لِكَيْ تَكْسِبَ قَلْبَ زَوْجَتِكَ فَابْدَأ بِالسَّلَامِ عِنْدَ دُخُولِكَ الْبَيتِ.

-فَقَدْ أخْرَجَ الْإمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى

-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٥٤)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أوَلَا أدُلُّكُمْ عَلَى شَيءٍ إذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ}.

-وَفِي رِوَايَةٍ:{وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أوَلَا أدُلُّكُمْ عَلَى شَيءٍ إذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ}.

-فَالسَّلَامُ أوَّلُ أسْبَابِ التَّآلُفِ وَمِفْتَاحُ اسْتِجْلَابِ الْموَدَّةِ، وَفِي إفْشَائِهِ أُلْفَةٌ لِلمُسْلِمِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ وَإظْهَارُ شِعَارِهِمْ الْمُمَيِّزِ لَهُمْ مِنْ غَيْرِهِمْ.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يُخْبِرُ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، أنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إلَّا الْمُؤْمِنُونَ، فَيَقُولُ: لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أيْ: لَا يَكْتَمِلُ إيمَانُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، ثُمَّ يَقُولُ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ-

: أوَ لَا أدُلُّكُمْ عَلَى شَيءٍ سَهْلٍ يَسِيرٍ إذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ؛ فَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ إفْشَاءَ السَّلَامِ سَبَبًا لِلمَحَبَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ سَبَبًا لِكَمَالِ الْإيمَانِ؛ لأنَّ إفْشَاءَ السَّلَامِ سَبَبٌ للتَّحَابِّ وَالتَّوَادِّ، وَهُوَ سَبَبُ الْألْفَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ الْمُسَبِّبُ لِكَمَالِ الدِّينِ وَإعْلَاءِ كَلِمَةِ الْإسْلَامِ. وَفِي التَّهَاجُرِ وَالتَّقَاطُعِ وَالشَّحْنَاءِ التَّفْرِقَةُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.

-وَفِي الْحَدِيثِ: الْأمْرُ بِإفْشَاءِ السَّلَامِ لِمَا فِيهِ مِنْ نَشْرِ الْمَحَبَّةِ وَالْأمَانِ بَيْنَ النَّاسِ.

-وَفِيهِ:إرْشَادُ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-لأمَّتِهِ إلَى أسْبَابِ الْفَوْزِ وَالنَّجَاةِ ودُخُولِ الْجَنَّةِ.

(ب)ابْتَسِمْ فِي وَجْهِ زَوْجَتِكَ عِنْدَ لِقَائِهَا:

-أيُّهَا الزَّوْجُ ابْتَسِمْ فِي وَجْهِ زَوْجَتِكَ عِنْدَ لِقَائِهَا،فَالْبَسْمَةُ مِفْتَاحٌ وَدَوَاءٌ،مِفْتَاحٌ لِمَغَالِيقِ الْقُلُوبِ،وَدَوَاءٌ لأَمْرَاضِهَا وَعِلَلِهَا،

وَالْبَسْمَةُ مِنْ سِنَّةِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَكَانَ لَا يُرَى إِلَّا بَسَّامًا،وَالْبَسْمَةُ عِبَادَةٌ-

-أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٣٠٣٥) مِنْ حَدِيثِ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْبَجَلِيِّ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:{مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ صَلَّى-اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلَا رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي. وَلَقَدْ شَكَوْتُ إِلَيْهِ إِنِّي لَا أَثْبُتُ عَلَى الْخَيْلِ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا}.

-فَالْبَسْمَةُ مِنْ حُسْنِ لِقَاءِ الْأَصْحَابِ،

وَالزَّوْجَةُ نِعْمَ الصَّاحِبَة ،فَلِقَاءُ النَّاسِ بِالتَّبَسُّمِ وَطَلَاقَةِ الوَجْهِ مِنْ أَخْلَاقِ النُّبُوَّةِ، وَهُوَ مُنَافٍ لِلتَّكَبُّرِ، وَجَالِبٌ لِلمَوَدَّةِ.

(ج)طَيِّبْ فَمَكَ عِنْدَ دُخُولِ الْبَيْتِ:

-اعْلَمْ أَيُّهَا الزَّوْجُ أَنَّ تَطْيِيبَ الْفَمِ وَتَنْظِفَهُ مِنْ حُسْنِ الْأَدَبِ مَعَ الزَّوْجَةِ،وَمِنَ الرِّعَايَةِ لَهَا،وَقَدْ كَانَ مِنْ هَدْيِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-عِنْدَ دُخُولِ بَيْتِهِ بَعْدَ الْبَدْءِ بِالسَّلَامِ يَبْدَأُ بِالسِّوَاكِ.

-أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٢٥٣)مِنْ حَدِيثِ شُرَيْحِ بْنِ هَانِئٍ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- قَالَ:{سَأَلْتُ عَائِشَةَ، قُلْتُ: بِأَيِّ شَيءٍ كَانَ يَبْدَأُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ- إذا دَخَلَ بَيْتَهُ؟ قالَتْ: بالسِّواكِ}.

(د)نَادِ زَوْجَتَكَ بِأَحَبِّ الْأَسْمَاءِ:

-أيُّهَا الزَّوْجُ كَيْ تَكْسِبَ قَلْبَ زَوْجَتِكَ فَنَادِهَا بِأَحَبِّ الْأَسْمَاءِ تَأَسِّيًا بِرَسُولِ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

-أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٦٢٠١)مِنْ حَدِيثِ أَمِّ الْمُؤمِنِينَ عَائشَةَ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا-قَالَتْ:قَالَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ يَا عَائِشَ هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلَامَ قُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، قَالَتْ: وَهُوَ يَرَى مَا لَا نَرَى}.

-وَهَذَا مِنْ حُسْنِ الْعِشْرَةِ وَمُلَاطَفَةِ الزَّوْجَةِ

،فَقَدْ اسْتَخْدَمَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

-أسْلُوبَ التَّرْخِيمِ عِنْدَ مُنَادَاةِ أمّنَا عَائشَة-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا-وَيَعْنِي التَّرْقِيق وَالتَّلْيِينَ بِحَذْفِ آخِرِ الاسْمِ تَخْفِيفًا ،وَهَذَا الْأسْلُوبُ يُؤتَى بِهِ للتَّحْسِينِ ،وَلِهَذَا لَا يأتِي إلَّا فِي مَقَامِ الرِّقَّةِ وَاللِّينِ أو التَّعْظِيمِ أحْيَانًا،وَهَذَا الْأسْلُوبُ يُدْخِلُ الْفَرَحَ وَالسُّرُورَ عَلَى الْمُنَادَى.

-وَأخْرَجَ الْإِمَامُ أَبُو دَاوُد-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-

فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(٤٩٧٠)مِنْ حَدِيثِ أمِّ الْمُؤمِنِينَ عَائشَةَ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا-

قَالَتْ:{يَا رَسُولَ اللهِ، كُلُّ صَوَاحِبِي لَهُنَّ كُنًى، قَالَ : فَاكْتَنِي بِابْنِكَ عَبْدِ اللهِ – يَعْنِي ابْنَ أُخْتِهَا، عَبْدَ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ – فَكَانَتْ تُكَنَّى ب : أمَّ عَبْدِ اللهِ}.

-وَفِي رِوَايَةٍ مِنْ طَرِيقِ عُرْوَة بْنِ الزُّبيرِ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: أنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ للنَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{يَا رَسُولَ اللهِ كُلُّ نِسَائِكَ لَهَا كُنْيَةٌ غَيْرِي فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:اكْتَنِي بِابْنِكَ عَبْدِ اللهِ يَعْنِي ابْنَ الزُّبَيْرِ أنْتِ أمُّ عَبْدِ اللهِ قَالَ: فَكَانَ يُقَالُ لَهَا أمُّ عَبْدِ اللهِ حَتَّى مَاتَتْ وَلَمْ تَلِدْ قَطُّ}.

-فَمِنْ حُسْنِ عِشْرَةِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-أنَّهُ يُجِيبُ زَوْجَهُ أمَّ الْمُؤمِنِينَ عَائشَةَ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا-وَيَخْتَارُ لَهَا أحَبَّ الْكِنَى،فَعَلَيْكَ أيُّهَا الزَّوْجُ أنْ تَتَأسَّى بِرَسُولِ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

(هـ)الثَّنَاءُ عَلَى الزَّوْجَةِ جالِبٌ للمَوَدَّةِ:

-أيُّهَا الزَّوْجُ كَيْ تَكْسِبَ قَلْبَ زَوْجَتِكَ عَلَيْكَ أنْ تُثنِيَ عَلَى فِعْلِهَا الجَمِيل،وقِيَامِهَا بِوَاجِبَاتِهَا،فَشُكْرُهَا عَلَى مَعْرُوفِهَا عِبَادَةٌ تُؤجَرُ عَلَيْهَا.

-أخْرَجَ الْإمَامُ التِّرْمِذِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ بِرَقَمِ(١٩٥٤)مِنْ حَدِيثِ أبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللهَ}.

-وَفِي رِوَايَةٍ عِنْدَ الْإمَامِ أبِي دَاوُد-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(٤٨١١):{لا يَشْكُرُ اللهَ مَن لا يَشْكُرُ الناسَ.}.

-عَلَّمَنَا النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنَّ الْحَمْدَ وَالشُّكْرَ للهِ تَعَالَى يَكُونُ فِي كُلِّ شَيءٍ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، وَمِنْ لَوَازِمِ شُكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أنْ يَشْكُرَ الْإنْسَانُ غَيْرَهُ إذَا قَدَّمَ إلَيْهِ مَعْرُوفًا.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ الرَّسُولُ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ-:{لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ}، أيْ: لَا يَقْبَلُ اللهُ تَعَالَى شُكْرًا مِنْ عَبْدِهِ الَّذِي أحْسَنَ إلَيْهِ، إذَا كَانَ هَذَا الْعَبْدُ مِمَّنْ يَنْسَى الْمَعْرُوفَ الَّذِي قَدَّمَهُ إلَيْهِ أحَدٌ مِنَ النَّاسِ، وَيَكْفُرُ نِعَمَهُمْ، وَلَا يَشْكُرُهُمْ عَلَيْهَا؛ وَذَلِكَ لاتِّصَالِ الْأمْرَيْنِ بِبَعْضِهِمَا.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ أنَّ مَنْ كَانَ مِنْ طَبْعِهِ وَعَادَتِهِ كُفْرَانُ نِعْمَةِ النَّاسِ وَتَرْكُ الشُّكْرِ لَهُمْ، كَانَ مِنْ عَادَتِهِ وَطَبْعِهِ كُفْرُ نِعْمَةِ اللهِ وَتَرْكُ الشُّكْرِ لَهُ؛ لأنَّهُ لَيْسَ مُعْتَادًا عَلَى الشُّكْرِ. وَقِيلَ مَعْنَاهُ: أنَّ مَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَ كَمَنْ لَا يَشْكُرُ اللهَ وَإنْ شَكَرَهُ، وَإنَّمَا الْحَثُّ عَلَى شُكْرِ النَّاسِ لَيْسَ لِكَوْنِ النِّعْمَةِ صَدَرَتْ مِنْهُمْ، بَلْ لِكَوْنِهَا جَرَتْ عَلَى أيْدِيهِمْ، وَالْمُنْعِمُ عَلَى الْحَقِيقَةِ هُوَ اللهُ، فَإذَا شَكَرْتَ عَبْدًا لِكَوْنِهِ أحْسَنَ إلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، فَإنَّ شُكْرَهُ لِكَوْنِ الشَّارِعِ أمَرَ بِذَلِكَ، لَا لاعْتِقَادِ أنَّهُ فَاعِلُ ذَلِكَ.

فَمَا بَالُنَا بِالزَّوْجَةِ الصَّالِحَةِ الَّتِي تَسُرُّ زَوْجَهَا إذَا نَظَرَ إلَيْهَا،وَتُطِيعُهُ فِي الْمَعْرُوفِ إذَا أمَرَهَا،وَتَحْفَظُهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ إذَا غَابَ عَنْهَا،وَتُعِدُّ لَهُ طَعَامَهُ،وَتَغْسِلُ لَهُ ثِيَابَهُ ،وَتُنَظِّفُ لَهُ بَيْتَهُ،وَتَقُومُ عَلَى تَرْبِيَةِ أبْنَائِهِ،

ألَا تَسْتَحِقُّ كَلِمَةَ شُكْرٍ وَثَنَاءٍ؟.

-وَفِي الْحَدِيثِ: الحَثُّ عَلَى الْوَفَاءِ، وَحِفْظِ الْمَعْرُوفِ لأهْلِهِ.

(و)سَاعِدْ زَوْجَتَكَ فِي أعْمَالِ الْمَنْزِلِ:

-فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فِي مِهْنَةِ أهْلِهِ،فَعَلَيْكَ أيُّهَا الزَّوْجُ أنْ تَتَأسَّى بِرَسُولِ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فِي ذَلِكَ لِتَكْسِبَ قَلْبَ زَوْجَتِكَ.

-أخْرَجَ الْإمَامُ ابْنُ حِبَّان-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ(٥٦٧٦)مِنْ حَدِيثِ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أبِيهِ قَالَ:قُلْتُ لِعَائِشَةَ: يَا أمَّ الْمُؤْمِنِينَ أيُّ شَيءٍ كَانَ يَصْنَعُ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-إذَا كَانَ عِنْدَكِ ؟ قَالَتْ: مَا يَفْعَلُ أحَدُكُمْ فِي مِهْنَةِ أهْلِهِ يَخْصِفُ نَعْلَهُ وَيَخِيطُ ثَوْبَهُ وَيَرْقَعُ دَلْوَهُ}.

-أوْصَى النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

الرِّجَالَ بِالنِّسَاءِ، وَحَثَّهُمْ عَلَى الْإحْسَانِ إلَيْهِنَّ وَمُعَاشَرَتِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ،وَكَانَ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-الْقُدوَةَ وَالْأُسْوَةَ الْحَسَنَةَ لِهَذِهِ الأُمَّةِ، فَكَانَ أفْضَلَ النَّاسِ وَأرْحَمَهُمْ، وَأرْفَقَهُمْ فِي مُعَامَلَةِ أهْلِهِ وَعِشْرَتِهِنَّ، كَمَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ، حَيْثُ تَقُولُ أُمُّنَا عَائِشَةُ -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا-:{كَانَ رَسُولُ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-يَخْصِفُ نَعْلَهُ}، أيْ: يَخْرِزُهُ وَيُرَقِّعُهُ، {وَيَخِيطُ ثَوْبَهُ}، أيْ: يُصْلِحُ مَا قُطِعَ مِنْه بِالْخَيْطِ لِيَلْتَئِم،{وَيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ كَمَا يَعْمَلُ أحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ}، أيْ: إنَّ النَّبِيَّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ لَا يَتَرَفَّعُ عَنْ مُسَاعَدَةِ نِسَائِهِ فِي أعْمَالِ الْبَيْتِ وَخِدْمَتِهِنَّ، وَفِي رِوَايَةٍ لأحْمَدَ:{كَانَ بَشَرًا مِنَ الْبَشَرِ؛ يَفْلِي ثَوْبَهُ، وَيَحْلُبُ شَاتَهُ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ}.

-وَفِي الحَدِيثِ: بَيَانُ حُسْنِ عِشْرَةِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأَهْلِهِ وَتَوَاضُعِهِ مَعَهُمْ.

(ز)لَاطِفْ وَلَاعِبْ وَدَاعِبْ زَوْجَتَكَ:

-أَيُّهَا الزَّوْجُ اعْلَمْ أَنَّ مُلَاطَفَةَ الزَّوْجَةِ وَمُلَاعَبَتَهَا وَمُدَاعَبَتِهَا مِنْ حُسنِ الْعِشْرَةِ،

وَفِيهَا التَّأَسِّي بِالنَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

الَّذِي أَوْصَى بِالنِّسَاءِ خَيْرًا.

-أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ(٥١٨٥)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ وَالْيَومِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ، وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا؛ فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا}.

-فِي هَذَا الْحَدِيثِ يُرْشِدُ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أُمَّتَهُ إِلَى التَّحَلِّي بِالْآدَابِ وَالْأَخْلَاقِ الَّتِي تَزِيدُ الْأُلْفَةَ وَالْمَوَدَّةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَمِنْهَا: عَدَمُ إِيذَاءِ الْجَارِ؛ فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللهِ الَّذِي خَلَقَهُ إِيمَانًا كَامِلًا، وَيُؤمِنُ بِاليَوْمِ الْآخِرِ الَّذِي إِلَيْهِ مَعَادُهُ، وَفِيهِ مُجَازَاتُهُ بِعَمَلِهِ؛ فَلَا يُؤذِ جَارَهُ بِأَيِّ نَوْعٍ مِنَ الْإِيذَاءِ، بَلْ حَثَّ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَى الْجَارِ، كَمَا ثَبَتَ فِي رِوَايَاتِ هَذَا الْحَدِيثِ.

وَكَانَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُوصِي الرِّجَالَ بِمُعَاشَرَةِ الْأَهْلِ بِالْمَعْرُوفِ مِمَّا أَمَرَ بِهِ الْإِسْلَامُ، وَلَمَّا كَانَ فِي خَلْقِ النِّسَاءِ عِوَجًا بِأَصْلِ خِلْقَتِهِنَّ، نَبَّهَ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى ذَلِكَ، فَقَالَ:{اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا}، يَعْنِي: تَوَاصَوْا فِيمَا بَيْنَكُمْ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِنَّ؛ {فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ}، جَمْعُهُ ضُلُوعُ، وَهِيَ عِظَامُ الْجَنْبَيْنِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ فِي خَلْقِهِنَّ عِوَجًا مِنْ أَصلِ الْخِلْقَةِ، {وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ}، فَوَصَفَهَا بِذَلِكَ لِلْمُبَالَغَةِ فِي وَصْفِ الاعْوِجَاجِ، وَلِلتَّأْكِيدِ عَلَى مَعْنَى الْكَسْرِ؛ لِأَنَّ تَعَذُّرَ الْإِقَامَةِ فِي الْجِهَةِ الْعُلْيَا أَمْرُهُ

أظْهَرُ، وَقِيلَ: يُحْتَمَلُ أنْ يَكُونَ ذَلِكَ مَثَلًا لِأعْلَى الْمَرْأةِ؛ لأنَّ أعْلَاهَا رَأسُهَا، وَفِيهِ لِسَانُهَا، وَهُوَ الَّذِي يَنْشَأُ مِنْهُ الاعْوِجَاجُ، وَقِيلَ: {أَعْوَجُ} هَاهُنَا مِنْ بَابِ الصِّفَةِ، لَا مِنْ بَابِ التَّفْضِيلِ؛ لأنَّ أفْعَلَ التَّفْضِيلِ لا يُصَاغُ مِنَ الْألْوَانِ وَالعُيُوبِ، {فإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَه}، يَعْنِي: إذَا أَرَدْتَ أنْ تُقِيمَ الضِّلَعَ وَتَجْعَلَهُ مُسْتقِيمًا فإِنَّهُ يَنْكَسِرُ، وَكَذَلِكَ الْمَرْأَةُ إنْ أَرَدْتَ مِنْهَا الاسْتِقَامَةَ التَّامَّةَ فِي الْخُلُقِ، أدَّى الْأمْرُ إلَى كَسْرِهَا، وَكَسْرُهَا هُوَ طَلَاقُهَا، كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، {وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ}، يَعْنِي: أنَّهُ لَا سَبِيلَ إلَّا بِالصَّبْرِ عَلَى هَذَا الاعْوِجَاجِ، فيَجِبُ الصَّبْرُ عَلَيْهِ وَالْإِحْسَانُ إِلَيْهِنَّ، وَحُسْنُ مُعَاشَرَتِهِنَّ مَعَ ذَلِكَ.

-وَأخْرَجَ الْإِمَامُ أَبُو دَاوُد-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(٢٥٧٨)مِنْ حَدِيثِ أمِّ الْمُؤمِنِينَ عَائِشَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا-، أنَّهَا كَانَتْ مَعَ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي سَفَرٍ قَالَتْ: {فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ عَلَى رِجْلَيَّ، فَلَمَّا حَمَلْتُ اللَّحْمَ سَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي فَقَالَ: هَذِهِ بِتِلْكَ السَّبْقَةِ}.

-التَّلَطُّفُ وَحُسْنُ الْعِشْرَةِ مَعَ الْأهْلِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ الَّذِي عَلَّمَنَا إيَّاهُ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ تُخْبِرُ أمُّنَا عَائِشَةُ -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا-:{أنَّهَا كَانَتْ مَعَ النَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فِي سَفَرٍ}، أيْ: خَرَجَتْ مَعَهُ فِي إحْدَى أسْفَارِهِ، قَالَتْ:{فَسَابَقْتُهُ}، أيْ: تَنَافَسْنَا فِي سِبَاقٍ، {فَسَبَقْتُهُ عَلَى رِجْلَيَّ}، أيْ: كُنْتُ أنَا السَّابِقَةَ وَالْمُتَقَدِّمَةَ فِي سِبَاقِ الْجَرْيِ عَلَى الْأرْجُلِ لَا عَلَى الدَّوَابِّ،{فلمَّا حَمَلتُ اللَّحمَ}، أيْ: زَادَ وَزْنِي وَسَمِنْتُ، {سَابَقْتُهُ}، أيْ: أَعَدْنَا الْمُنَافَسَةَ فِي سَفَرٍ آخَرَ؛ {فَسَبَقَنِي}، أيْ: فَكَانَ النَّبِيُّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هُوَ السَّابِقَ هَذِهِ الْمَرَّةَ،فَقَالَ لَهَا النَّبِي-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

- حِينَ رَبِحَ: {هَذِهِ بِتِلْكَ السَّبْقَةِ}، أيْ: سَبَقْتُكِ كَمَا سَبَقْتِنِي مِنْ قَبْلُ، فَأَصْبَحْنَا مُتَسَاوِيَيْنِ فِي ذَلِكَ، وَهَذَا مِنْ جَمِيلِ مُعَاشَرَتِهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأزْوَاجِهِ.

وَفِي الْحَدِيثِ: تَوَاضُعُ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَلُطْفُهُ مَعَ أَهْلِهِ، وَبَيَانُ مَا كَانَ عَلَيْهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ.

–وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ(٥٠٧٩)مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ –رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا– قَالَ:{كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي غَزَاةٍ، فَلَمَّا أَقْبَلْنَا تَعَجَّلْتُ عَلَى بَعِيرٍ لِي قَطُوفٍ، فَلَحِقَنِي رَاكِبٌ خَلْفِي، فَنَخَسَ بَعِيرِي بِعَنَزَةٍ كَانَتْ مَعَهُ، فَانْطَلَقَ بَعِيرِي كَأَجْوَدِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنَ الْإِبِلِ، فَالْتَفَتُّ، فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَقَالَ: مَا يُعْجِلُكَ يَا جَابِرُ؟ قُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِعُرْسٍ، فَقَالَ: أَبِكْرًا تَزَوَّجْتَهَا، أَمْ ثَيِّبًا؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلْ ثَيِّبًا، قَالَ: هَلَّا جَارِيَةً تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ. قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، ذَهَبْنَا لِنَدْخُلَ، فَقَالَ: أَمْهِلُوا حَتَّى نَدْخُلَ لَيْلًا، أَيْ عِشَاءً، كَيْ تَمْتَشِطَ الشَّعِثَةُ، وَتَسْتَحِدَّ الْمُغِيبَةُ. قَالَ: وَقَالَ: إِذَا قَدِمْتَ فَالْكَيْسَ الْكَيْسَ}.

–الزَّوَاجُ فِطْرَةٌ وَسُنَّةٌ مِنْ سُنَنِ اللهِ تَعَالَى الْكَوْنِيَّةِ، وَلَهُ مَصَالِحُ شَرْعِيَّةٌ كَثِيرَةٌ، وَقَدِ اهْتَمَّ شَرْعُنَا الْحَنِيفُ بِتِلْكَ الْفِطْرَةِ، وَحَثَّ عَلَيْهَا، وَرَغَّبَ فِيهَا، وَدَلَّنَا عَلَى كَيْفِيَّةِ الاخْتِيَارِ، وَأَسْبَابِ الْحِفَاظِ عَلَى تِلْكَ النِّعْمَةِ الْجَلِيلَةِ.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: {كُنَّا}، أَيْ: الصَّحَابَةُ، مَعَ رَسُولِ اللهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي {غَزَاةٍ}، أَيْ: غَزْوَةٍ أَوْ مَعْرَكَةٍ،{فَلَمَّا أَقْبَلْنَا}، أَيْ: فَلَمَّا انْتَهَيْنَا وَعُدْنَا رَاجِعِينَ،{تَعَجَّلْتُ}، أَيْ: كُنْتُ مُسْتَعْجِلًا، وَأَسْرَعْتُ السَّيْرَ،{عَلَى بَعِيرٍ لِي}،أَيْ:عَلَى جَمَلٍ مِلْكٍ لِي،{قَطُوفٍ}، أَيْ: بَطِيءِ الْمَشْيِ مَعَ تَقَارُبِ الْخَطْوِ، {فَلَحِقَنِي رَاكِبٌ خَلْفِي}، أَيْ: فَأَدْرَكَنِي أَحَدٌ مِنْ وَرَائِي،{فَنَخَسَ بَعِيرِي}،أَيْ:طَعَنَ جَمَلِي فِي مُؤَخِّرَتِهِ لِيُسْرِعَ مِنْ سَيْرِهِ،{بِعَنَزَةٍ كَانَتْ مَعَهُ}، وَالْعَنَزَةُ هِيَ عَصًا قَصِيرَةٌ تُشْبِهُ الرُّمْحَ، فِي آخِرِهَا حَدِيدَةٌ عَرِيضَةٌ،{فَانْطَلَقَ بَعِيرِي}، أَيْ: فَأَسْرَعَ جَمَلِيَ السَّيْرَ، وَاشْتَدَّ فِي الْحَرَكَةِ،{كَأَجْوَدِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنَ الْإِبِلِ} أَيْ: كَأَفْضَلِ وَأَسْرَعِ مَا تَرَى مِنَ الْجِمَالِ. قَالَ جَابِرٌ:{فَالْتَفَتُّ}، أَيْ: أَدَرْتُ رَأْسِي لِأَنْظُرَ مَنِ الَّذِي طَعَنَ جَمَلِي فَأَسْرَعَ سَيْرَهُ،{فَإِذَا أَنَا

بِرَسُولِ اللهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–}،أيْ: فَوَجَدْتُهُ رَسُولَ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– {فَقَالَ}، أيْ: النَّبِيُّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: {مَا يُعْجِلُكَ يَا جَابِرُ؟}، أيْ: مَا سَبَبُ اسْتِعْجَالِكَ وَإِسْرَاعِكَ فِي السَّيْرِ؟ {قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِعُرْسٍ}، أيْ: إِنِّي قَدْ تَزَوَّجْتُ قَرِيبًا، فَأَنَا مَا زِلْتُ عَرُوسًا، {فَقَالَ}، أيْ: النَّبِيُّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: {أَبِكْرًا تزوَّجْتَهَا أمْ ثَيِّبًا؟}، أيْ: هَلْ تَزَوَّجْتَ بِكْرًا، وَهِيَ الَّتِي لَمْ تَتَزَوَّجْ مِنْ قَبْلُ، أمْ هَلْ تَزَوَّجْتَ ثَيِّبًا، وَهِيَ الَّتِي سَبَقَ لَهَا الزَّوَاجُ؟ {قَالَ}،أيْ:جابِرٌ،{قُلْتُ: بَلْ ثَيِّبًا} أيْ:تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً قَدْ تَزَوَّجَتْ مِنْ قَبْلُ، وَلَيْسَتْ بِكْرًا، {قَالَ}، أيْ: النَّبِيُّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: {هَلَّا جَارِيَةً}، أيْ: لِمَاذَا لَمْ تَتَزَوَّجْ بِكْرًا؟! فَإِنَّ ذَلِكَ أفْضَلُ؛ {تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ}، أيْ: تَلْعَبُ مَعَهَا، وَتَلْعَبُ مَعَكَ، وَتُلَاطِفُهَا وَتُلَاطِفُكَ، {قَالَ}، أيْ: جَابِرٌ،{فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ}، أيْ: فَلَمَّا رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ، {ذَهَبْنَا لِنَدْخُلَ}، أيْ: هَمَمْنَا أنْ نَدْخُلَ عَلَى أهْلِينَا،فَقَالَ النَّبِيُّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: {أَمْهِلُوا}، أيْ: اصْبِرُوا، وَلَا تَدْخُلُوا الْآنَ عَلَى أهْلِيكُمْ،{حَتَّى نَدْخُلَ لَيْلًا}، أيْ: سَوْفَ نَدْخُلُ عَلَى أهْلِينَا بِاللَّيْلِ،وَلَيْسَ الْآنَ،{أيْ عِشَاءً}، أيْ: بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ؛ { كَيْ تَمْتَشِطَ }، أيْ: لِكَيْ تُهَذِّبَ شَعْرَ رَأسِهَا وَتُجَمِّلَهُ، {الشَّعِثَةُ}، أيْ: الَّتِي تَفَرَّقَ شَعْرُ رأسِهَا، فَأصْبَحَ قَبِيحَ الْهَيْئَةِ،{وَتَسْتَحِدَّ}،أيْ: تَسْتَخْدِمُ الْمُوسَى الْحَدِيدَ لِإزَالَةِ شَعْرِ الْعَانَةِ،{الْمُغِيبَةُ}،أيْ:الَّتِي غَابَ عَنْهَا زَوْجُهَا، وَالْمَقْصُودُ:أنَّ النَّبِيَّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

–مَنَعَهُمْ أنْ يُسْرِعُوا الدُّخُولَ عَلَى أهْلِيهِمْ، وَأمَرَهُمْ أنْ يَنْتَظِرُوا إِلَى اللَّيْلِ؛ لِكَيْ يُعْطُوا النِّسَاءَ فُرْصَةً لِكَيْ يَتَجَهَّزْنَ لَهُمْ، وَيُصْلِحْنَ مِنْ هَيْئَتِهِنَّ وَشُعُورِهِنَّ، وَيَتَجَمَّلْنَ لَهُمْ، وَيَسْتَعِدْنَ لاسْتِقْبَالِهِمْ،{قَالَ}، أيْ: جَابِرٌ: {وَقَالَ}،أيْ:النَّبِيُّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: {إِذَا قَدِمْتَ}، أيْ: إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أهْلِكَ، {فَالْكَيْسَ الْكَيْسَ}، قِيلَ: يَعْنِي الجِمَاعَ، كَأَنَّهُ يَحُثُّهُ عَلَى الْجِمَاعِ، وَقِيلَ: بَلْ أرَادَ مَا هُوَ أَخَصُّ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ الْوَلَدُ، فَكَأَنَّهُ يُرَغِّبُهُ فِي الْجِمَاعِ ابْتِغَاءِ الْوَلَدِ، وَقِيلَ: هُوَ الْعَقْلُ وَالْحِلْمُ، كَأَنَّهُ يَقُولُ لَهُ: عَلَيْكَ بِالْعَقلِ وَالْحِلْمِ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أهْلِكَ، فَرَاعِ حَالَهُمْ مِنْ حَيْثُ الطُّهْرُ وَالْحَيْضُ.

-وَفِي الْحَدِيثِ:حُسْنُ عِشْرةِ النَّبِيّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأَصْحَابِهِ، وَاهْتِمَامُهُ بِشُؤونِهِمْ، وَسُؤالُهُ عَلَيْهِمْ.

-وَفِيهِ: فَضْلُ نِكَاحِ الْبِكْرِ وَفَضِيلَةُ الْمُلَاطَفَةِ وَالْمُلَاعَبَةِ للزَّوْجَةِ.

-وَفِيهِ: فَضْلُ جَابِرٍ– رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-، حَيْثُ خَرَجَ للجِهَادِ وَهُوَ حَدِيث عَهْدٍ بِعُرسٍ

-وَفِيهِ: بَيَانُ بَعْضِ آدَابِ الْعَائِدِ مِنَ الْغَزْوِ وَالسَّفَرِ.

(ح)تَزَيَّنْ لِزَوْجَتِكَ وَتَطَيَّبْ لَهَا:

-أيُّهَا الزَّوْجُ كَمَا تُحِبُّ أنْ تَتَزَيَّنَ لَكَ زَوْجَتُكَ وَتَتَطَيَّب فَلَابُدَّ أنْ تَتَزَيَّنَ أنْتَ لَهَا وَتَتَطَيَّب فَهَذَا مِنْ حَقِّهَا عَلَيْك لِيَدُومَ السَّكَنُ وَتَتَأكَّدَ الْمَوَدَّةُ.

-أخْرَجَ الْإمَامُ الْبَيْهَقِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي سُنَنِهِ الْكُبْرَى بِسَنَدٍ صَحِيحٍ بِرَقَمِ(٧/٤٨٢)

مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ–رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا–قَالَ:{إنِّي أُحِبُّ أَنْ أَتَزَيَّنَ لِلْمَرْأَةِ، كَمَا أُحِبُّ أَنْ تَتَزَيَّنَ لِي الْمَرْأَةُ، لأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ}.

-وَللهِ دَرُّ الْعَلَّامَة بْن الْقَيِّم–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى –حَيْثُ يَقُولُ عَنِ حُبِّ النَّبِيّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– للطِّيبِ عِنْدَ شَرْحِهِ لِحَدِيثِ النَّبِيّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{حُبِّبَ إلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمُ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ}:{لَمَّا كَانَتِ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ غِذَاءَ الرُّوحِ، وَالرُّوحُ مَطِيَّةُ الْقُوَى، وَالْقُوَى تَزْدَادُ بِالطِّيبِ، وَهُوَ يَنْفَعُ الدِّمَاغَ وَالْقَلْبَ، وَسَائِرَ الْأَعْضَاءِ الْبَاطِنِيَّةِ، وَيُفْرِحُ الْقَلْبَ، وَيَسُرُّ النَّفْسَ، وَيُبْسِطُ الرُّوحَ، وَهُوَ أصْدَقُ شَيءٍ لِلرُّوحِ، وَأشَدُّهُ مُلَاءمَةً لَهَا، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الرُّوحِ الطَّيِّبَةِ نِسْبَةٌ قَرِيبَةٌ، وَكَانَ أحَدَ الأشْيَاءِ الْمَحْبُوبَةَ مِنَ الدُّنْيَا إلَى أطْيَبِ الطَّيِّبِينَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ. وَفِي الطِّيبِ مِنَ الْخَاصِيَّةِ أنَّ الْمَلَائِكَةَ تُحِبُّهُ وَالشَّيَاطِينَ تَنْفِرُ عَنْهُ، وَأحَبُّ شَيءٍ إلَى الشَّيَاطِينِ الرَّائِحَةُ الْمُنْتِنَةُ الْكَرِيهَةُ، فَالْأرْوَاحُ الطَّيِّبَةُ تُحِبُّ الرَّائِحَةَ الطَّيِّبَةِ، وَالْأرْوَاحُ الْخَبِيثَةُ تُحِبُّ الرَّائِحَةَ الْخَبِيثَةَ، وَكُلُّ رُوحٍ تَمِيلُ إلَى مَا يُنَاسِبُهَا، فَالْخَبِيثَاتُ للخَبِيثِينَ، وَالْخَبِيثُونَ للخَبِيثَاتِ، وَالطَّيِّبَاتُ للطَّيِّبِينَ، وَالطَّيِّبُونَ للطَّيِّبَاتِ، وَهَذَا

وَإِنْ كَانَ فِي النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ، فَإِنَّهُ يَتَنَاوَلُ الْأَعْمَالَ وَالْأَقْوَالَ وَالْمَطَاعِمَ وَالْمَشَارِبَ وَالْمَلَابِسَ وَالرَّوَائِحَ، إمَّا بِعُمُومِ لَفْظِهِ، أوْ بِعُمُومِ مَعْنَاهُ}. (انْظُرْ:"زاد المعاد":٤/٢٥٦).

(ط)اسْتَمِعْ لِزَوْجَتِكَ فِي عَرْضِ مُشْكِلَاتِهَا:

-أيُّهَا الزَّوْجُ أحْسِنْ الاسْتِمَاعَ إلَى زَوْجَتِكَ عِنْدَ عَرْضِ مُشْكِلَاتِهَا،فَنِصْفُ الْعِلَاجِ فِي الاسْتِمَاعِ،وَيُسَاهِمُ الاسْتِمَاعُ فِي تَطْيِيبِ خَاطِرِ الزَّوْجَةِ مِمَّا يُثْمِرُ الْحُبَّ وَالرَّحْمَةَ وَالسَّكَنَ وَالْمَوَدَّةَ وَكَسْبَ قَلْبِ الزَّوْجَةِ.

-فَقَدْ اسْتَمَعَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-إلَى خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا-وَهِيَ تُجَادِلُ فِي أمْرِ زَوْجِهَا أوْسِ بْنِ الصَّامِتِ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-الَّذِي ظَاهَرَ مِنْهَا وَقَالَ لَهَا:أنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أمِّي،فَاسْتَمَعَ إلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-بَلْ وَاسْتَمَعَ لَهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَأنْزَلَ فِيهَا سُورَةَ الْمُجَادَلَةِ لِيُبَيِّنَ لَهَا حُكْمَ الظِّهَارِ فِي الْإِسْلَامِ.

-قَالَ اللهُ تَعَالَى:{ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١) الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (2) وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (3) فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (4) }

-أخْرَجَ الْإمَامُ ابْنُ مَاجَه-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقْمِ(٢٠٦٣)مِنْ حَدِيثِ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ:قَالَتْ عَائِشَةُ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا-:{تَبَارَكَ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ كُلَّ شَيْءٍ إِنِّي لَأَسْمَعُ كَلَامَ خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ وَيَخْفَى عَلَيَّ بَعْضُهُ وَهِيَ تَشْتَكِي زَوْجَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-وَهِيَ تَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكَلَ شَبَابِي وَنَثَرْتُ لَهُ بَطْنِي حَتَّى إِذَا كَبِرَتْ سِنِّي

وَانْقَطَعَ وَلَدِي ظَاهَرَ مِنِّي اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ فَمَا بَرِحَتْ حَتَّى نَزَلَ جِبْرَائِيلُ بِهَؤُلَاءِ الْآيَاتِ {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ}.

–وَانْظُرْ أَيُّهَا الزَّوْجُ إِلَى سَيِّدِ الْخَلْقِ وَخَلِيلِ الْحَقِّ وَخَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدٍ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فِي حُسْنِ اسْتِمَاعِهِ لأَهْلِهِ مِنْ خِلَالِ حَدِيثِ أُمِّ زَرْعٍ.

– أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ–كِتَابُ النِّكَاحِ–بَاب حُسْنِ الْمُعَاشَرَةِ مَعَ الْأَهْلِ بِرَقَمِ(٤٨٩٣)مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ–رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهَا– قَالَتْ:{ جَلَسَ إِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً فَتَعَاهَدْنَ وَتَعَاقَدْنَ أَنْ لَا يَكْتُمْنَ مِنْ أَخْبَارِ أَزْوَاجِهِنَّ شَيْئًا قَالَتْ الْأُولَى: زَوْجِي لَحْمُ جَمَلٍ غَثٍّ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ لَا سَهْلٍ فَيُرْتَقَى وَلَا سَمِينٍ فَيُنْتَقَلُ.قَالَتْ الثَّانِيَةُ: زَوْجِي لَا أَبُثُّ خَبَرَهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ لَا أَذَرَهُ إِنْ أَذْكُرْهُ أَذْكُرْ عُجَرَهُ وَبُجَرَهُ.قَالَتْ الثَّالِثَةُ: زَوْجِي الْعَشَنَّقُ إِنْ أَنْطِقْ أُطَلَّقْ وَإِنْ أَسْكُتْ أُعَلَّقْ. قَالَتْ الرَّابِعَةُ: زَوْجِي كَلَيْلِ تِهَامَةَ لَا حَرٌّ وَلَا قُرٌّ وَلَا مَخَافَةَ وَلَا سَآمَةَ.

قَالَتْ الْخَامِسَةُ: زَوْجِي إِنْ دَخَلَ فَهِدَ وَإِنْ خَرَجَ أَسِدَ وَلَا يَسْأَلُ عَمَّا عَهِدَ. قَالَتْ السَّادِسَةُ: زَوْجِي إِنْ أَكَلَ لَفَّ وَإِنْ شَرِبَ اشْتَفَّ وَإِنْ اضْطَجَعَ الْتَفَّ وَلَا يُولِجُ الْكَفَّ لِيَعْلَمَ الْبَثَّ. قَالَتْ السَّابِعَةُ: زَوْجِي غَيَايَاءُ أَوْ عَيَايَاءُ طَبَاقَاءُ كُلُّ دَاءٍ لَهُ دَاءٌ شَجَّكِ أَوْ فَلَّكِ أَوْ جَمَعَ كُلًّا لَكِ. قَالَتْ الثَّامِنَةُ :زَوْجِي الْمَسُّ مَسُّ أَرْنَبٍ وَالرِّيحُ رِيحُ زَرْنَبٍ. قَالَتْ التَّاسِعَةُ: زَوْجِي رَفِيعُ الْعِمَادِ طَوِيلُ النِّجَادِ عَظِيمُ الرَّمَادِ قَرِيبُ الْبَيْتِ مِنْ النَّادِ. قَالَتْ الْعَاشِرَةُ: زَوْجِي مَالِكٌ وَمَا مَالِكٌ مَالِكٌ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكِ لَهُ إِبِلٌ كَثِيرَاتُ الْمَبَارِكِ قَلِيلَاتُ الْمَسَارِحِ وَإِذَا سَمِعْنَ صَوْتَ الْمِزْهَرِ أَيْقَنَّ أَنَّهُنَّ هَوَالِكُ .قَالَتْ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: زَوْجِي أَبُو زَرْعٍ وَمَا أَبُو زَرْعٍ أَنَاسَ مِنْ حُلِيٍّ أُذُنَيَّ وَمَلَأَ مِنْ شَحْمٍ عَضُدَيَّ وَبَجَّحَنِي فَبَجِحَتْ إِلَيَّ نَفْسِي وَجَدَنِي فِي أَهْلِ غُنَيْمَةٍ بِشِقٍّ فَجَعَلَنِي فِي أَهْلِ صَهِيلٍ وَأَطِيطٍ وَدَائِسٍ وَمُنَقٍّ فَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلَا أُقَبَّحُ وَأَرْقُدُ فَأَتَصَبَّحُ وَأَشْرَبُ فَأَتَقَنَّحُ أُمُّ أَبِي زَرْعٍ فَمَا أُمُّ أَبِي زَرْعٍ عُكُومُهَا رَدَاحٌ وَبَيْتُهَا فَسَاحٌ ابْنُ أَبِي زَرْعٍ فَمَا ابْنُ أَبِي زَرْعٍ مَضْجَعُهُ كَمَسَلِّ شَطْبَةٍ وَيُشْبِعُهُ ذِرَاعُ الْجَفْرَةِ بِنْتُ أَبِي زَرْعٍ فَمَا بِنْتُ أَبِي زَرْعٍ طَوْعُ أَبِيهَا

وَطَوْعُ أُمِّهَا وَمِلْءُ كِسَائِهَا وَغَيْظُ جَارَتِهَا جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ فَمَا جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ لَا تَبُثُّ حَدِيثَنَا تَبْثِيثًا وَلَا تُنَقِّثُ مِيرَتَنَا تَنْقِيثًا وَلَا تَمْلَأُ بَيْتَنَا تَعْشِيشًا قَالَتْ :خَرَجَ أَبُو زَرْعٍ وَالْأَوْطَابُ تُمْخَضُ فَلَقِيَ امْرَأَةً مَعَهَا وَلَدَانِ لَهَا كَالْفَهْدَيْنِ يَلْعَبَانِ مِنْ تَحْتِ خَصْرِهَا بِرُمَّانَتَيْنِ فَطَلَّقَنِي وَنَكَحَهَا فَنَكَحْتُ بَعْدَهُ رَجُلًا سَرِيًّا رَكِبَ شَرِيًّا وَأَخَذَ خَطِّيًّا وَأَرَاحَ عَلَيَّ نَعَمًا ثَرِيًّا وَأَعْطَانِي مِنْ كُلِّ رَائِحَةٍ زَوْجًا وَقَالَ كُلِي أُمَّ زَرْعٍ وَمِيرِي أَهْلَكِ قَالَتْ: فَلَوْ جَمَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَانِيهِ مَا بَلَغَ أَصْغَرَ آنِيَةِ أَبِي زَرْعٍ.قَالَتْ عَائِشَةُ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ}.



–(أُنَاسَ مِنْ حُلِيّ أُذُنَيّ) أيْ أتَانِي بِالْحُلِي فِي أُذُنِيّ فَهُوَ يَتَدَلَّى مِنْهَا .

–(وَمَلأَ مِنْ شَحْمٍ عَضُدِي) مَعْنَاهُ أَسْمَنَنِي .

–(وَبَجَّحَنِي فَبَجِحتْ إِلَيَّ نَفْسِي) مَعْنَاهُ وَعَظَّمَنِي فَعَظُمْتُ عِنْد نَفْسِي . يُقَالُ : فُلَانٌ يَتَبَجَّحُ بِكَذَا أَيْ يَتعَظَّمُ وَيَفْتَخِرُ .

–(وَجَدَنِي فِي أَهْل غُنَيْمَةٍ بِشِقٍّ ، فَجَعَلَنِي فِي أَهْلِ صَهِيلٍ وَأَطِيطٍ وَدَائِسٍ وَمُنَقٍّ) أَرَادَتْ أَنَّ أَهْلَهَا كَانُوا أَصْحَاب غَنَم لَا أَصْحَاب خَيْلٍ وَإِبِلٍ ، وَالْعَرَبُ لَا يُعَظِّمُونَ أَصْحَابَ الْغَنَمِ ، وَإِنَّمَا يُعَظِّمُونَ أَهْلَ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ .

–وَأَمَّا قَوْلُهَا : (بِشِقٍّ) يُحْتَمَلُ أَنَّهُ اسْمُ مَكَانٍ ، وَيُحْتَمَلُ أَنَّ مُرَادَهَا أَيْ بِشَظَفٍ مِنْ الْعَيْشِ وَجَهْدٍ . وَقَوْلها : (وَدَائِس) هُوَ الَّذِي يَدُوسُ الزَّرْعِ فِي بَيْدَرِهِ . يُقَالُ : دَاس الطَّعَام دَرَسَهُ .

-قَوْلُهَا : (وَمُنَقٍّ) الْمُرَادُ بِهِ الَّذِي يُنَقِّي الطَّعَامَ أَيْ يُخْرِجُهُ مِنْ قُشُورِهِ ، وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ صَاحِبُ زَرْعٍ ، وَيَدُوسُهُ وَيُنَقِّيهِ .

-قَوْلُهَا (فَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلَا أُقَبَّحُ) مَعْنَاهُ لَا يُقَبِّحُ قَوْلِي فَيَرُدُّ ، بَلْ يَقْبَلُ مِنِّي .

-وَمَعْنَى (أَتَصَبَّحُ) أَنَامُ الصُّبْحَةَ ، وَهِيَ بَعْدَ الصَّبَاحِ ، أَيْ أَنَّهَا مَكْفِيَّةٌ بِمَنْ يَخْدُمُهَا فَتَنَامُ .

-وَقَوْلُهَا : (فَأَتَقَنَّح) مَعْنَاهُ أُرْوَى حَتَّى أَدَعَ الشَّرَابَ مِنْ شِدَّةِ الرِّيِّ .

-قَوْلُهَا : (عُكُومُهَا رَدَاحٌ) الْعُكُومُ هِيَ الْأَوْعِيَةُ الَّتِي فِيهَا الطَّعَامُ وَالْأَمْتِعَةُ ، وَرَدَاحٌ أَيْ عِظَامٌ كَبِيرَةٌ .

-قَوْلُهَا : (وَبَيْتُهَا فَسَاح) أَيْ وَاسِعٌ .

-قَوْلُهَا : (مَضْجَعُهُ كَمَسَلِّ شَطْبَةٍ) مُرَادُهَا أَنَّهُ خَفِيفُ اللَّحْمِ ، وَهُوَ مِمَّا يُمْدَحُ بِهِ الرَّجُلُ .

-قَوْلُهَا : (وَتُشْبِعُهُ ذِرَاعُ الْجَفْرَة) الْجَفْرَةُ وَهِيَ الْأُنْثَى مِنْ أَوْلَادِ الْمَعْزِ ، وَهِيَ مَا بَلَغَتْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَفُصِلَتْ عَنْ أُمِّهَا . وَالْمُرَاد أَنَّهُ قَلِيلُ الْأَكْلِ ، وَالْعَرَبُ تَمْدَحُ بِهِ .

-قَوْلُهَا : (طَوْعُ أَبِيهَا وَطَوْعُ أُمِّهَا) أَيْ مُطِيعَةٌ لَهُمَا مُنْقَادَةٌ لِأَمْرِهِمَا .

-قَوْلُهَا : (وَمِلْءُ كِسَائِهَا) أَيْ مُمْتَلِئَةُ الْجِسْمِ سَمِينَةٌ .

-قَوْلُهَا : (وَغَيْظُ جَارَتِهَا) قَالُوا : الْمُرَادُ بِجَارَتِهَا ضَرَّتُهَا ، يَغِيظُهَا مَا تَرَى مِنْ حَسَنِهَا وَجَمَالِهَا وَعِفَّتِهَا وَأَدَبِهَا .

-قَوْلُهَا : (لَا تَبُثُّ حَدِيثَنَا تَبْثِيثًا) أَيْ لَا تُشِيعُهُ وَتُظْهِرُهُ ، بَلْ تَكْتُمُ سِرَّنَا وَحَدِيثَنَا كُلَّهُ .

-قَوْلُهَا : (وَلَا تُنَقِّثُ مِيرَتنَا تَنْقِيثًا) الْمِيرَةُ الطَّعَامُ الْمَجْلُوبُ ، وَمَعْنَاهُ لَا تُفْسِدُهُ ، وَلَا تُفَرِّقُهُ ، وَلَا تَذْهَبُ بِهِ وَمَعْنَاهُ وَصْفُهَا بِالْأَمَانَةِ .

–قَوْلُهَا : (وَلَا تَمْلَأُ بَيْتنا تَعْشِيشًا) أَيْ لَا تَتْرُكُ الْكُنَاسَةَ وَالْقُمَامَةَ فِيهِ مُفَرَّقَةً كَعُشِّ الطَّائِرِ ، بَلْ هِيَ مُصْلِحَةٌ لِلْبَيْتِ ، مُعْتَنِيَة بِتَنْظِيفِهِ .

–قَوْلُهَا : (وَالْأَوْطَابُ تُمْخَضُ) هُوَ جَمْعُ وَطْبٍ وَهِيَ سَقِيَّةُ اللَّبَنِ الَّتِي يُمْخَضُ فِيهَا .

–قَوْلُهَا : (يَلْعَبَانِ مِنْ تَحْتِ خَصْرِهَا بِرُمَّانَتَيْنِ) الْمُرَادُ بِالرُّمَّانَتَيْنِ هُنَا ثَدْيَاهَا .

–قَوْلُهَا : (فَنَكَحْتُ بَعْدَهُ رَجُلًا سِرِّيًّا رَكِبَ شَرِيًّا) (سِرِّيًّا) مَعْنَاهُ سَيِّدًا شَرِيفًا ، وَقِيلَ : سَخِيًّا ، (شَرِيًّا) هُوَ الْفَرَسُ الْفَائِقُ الْخِيَارُ .

قَوْلُهَا : (وَأَخَذَ خَطِّيًّا) هُوَ الرُّمْحُ .

–قَوْلُهَا : (وَأَرَاحَ عَلَيَّ نِعَمًا ثَرِيًّا) أَيْ أَتَى بِهَا إِلَى مَوْضِعِ مَبِيتِهَا . وَالنَّعَمُ الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ ،وَالثَّرِيّ الْكَثِير مِنْ الْمَال وَغَيْره .

–قَوْلُهَا : (وَأَعْطَانِي مِنْ كُلّ رَائِحَة زَوْجًا) فقَوْلُهَا (مِنْ كُلّ رَائِحَة) أَيْ مِمَّا يَرُوحُ مِنْ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالْعَبِيدِ . وَقَوْلهَا (زَوْجًا) أَيْ اِثْنَيْنِ ، وَيَحْتَمِل أَنَّهَا أَرَادَتْ صِنْفًا ، وَالزَّوْجُ يَقَعُ عَلَى الصِّنْفِ .

–قَوْلُهُ : (مِيرِي أَهْلَكِ) أَيْ أَعْطِيهِمْ وَافْضُلِي عَلَيْهِمْ وَصِلِيهِمْ .

قَوْلُهُ(كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زَرْعٍ لأمِّ زَرْعٍ)فَمَقْصُودُهُ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِقَوْلِهِ :(كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ) يَعْنِي فِي حُسْنِ الْعِشْرَةِ ،وَكَرَمِ الصُّحْبَةِ ، وَدَوَامِ الْمَحَبَّةِ وَالْأُلْفَةِ ، وَأَكَّدَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(إِلَّا أَنَّهُ طَلَّقَهَا وَإِنِّي لَا أُطَلِّقُكِ) .

–فَيَا أَيُّهَا الزَّوْجُ اسْتَمِعْ لِزَوْجَتِكَ فَهَذَا مِنْ حُسْنِ الْعِشْرَةِ وَسَبَبِ السَّكَنِ وَالْمَوَدَّةِ وَكَسْبِ قَلْبِهَا.

(ك)تَغَافَلْ عَنْ بَعْضِ أَخْطَاءِ زَوْجَتِكَ:

–أَيُّهَا الزَّوْجُ تَغَافَلْ عَنْ بَعْضِ أَخْطَاءِ زَوْجَتِكَ لِتُبْقِيَ حَبْلَ الْحُبِّ وَالْمَوَدَّةِ وَتَكْسِب قَلْبَهَا،

فَخُلُقُ التَّغَافُلِ مِنْ أحسَنِ الْأَخْلاَقِ، وَبِهَذَا الْخُلقِ الْكَرِيمِ النَّبِيلِ تَبْقَى الْعِلَاقَاتُ وَتَنْمُو الْمَحَبَّاتُ وَتَزْدَهِرُ، وَالتَّغَافُلُ هُوَ : { تَكَلُّفُ الْغَفْلَة مَعَ الْعِلْمِ وَالْإِدْرَاكِ لِمَا يَتَغَافَلُ عَنْهُ تَكَرُّمًا وَتَرَفُّعًا عَنْ سَفَاسِفِ الْأُمُورِ}، فَالْمُتَغَافِلُ يَعْلَمُ عَنْ هَذَا الْخَطَأَ وَيَسْتَطِيعُ مُعَاقَبَةَ الْمُخْطِئ وَلَكِنَّهُ يَتغَافَلُ عَنْ ذَلِكَ لِيُبْقِيَ حَبْلَ الْمَوَدَّةِ.

-أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبَيْهَقِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ (ج١٠/ص٥٧٥) قَوْلَ الْإِمَامِ أَحْمَد بْنِ حَنْبَل-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:{الْعَافِيَةُ عَشْرَةُ أجْزَاءٍ كُلُّهَا فِي التَّغَافُلِ}.

-وَفِي تَهْذِيب الْكَمَالِ(١٩/٢٣٠)يَقُولُ ابْنُ الْجَوْزِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-:{مَا يَزَالُ التَّغَافُلُ عَنِ الزَّلَّاتِ مِنْ أرْقَى شِيَمِ الْكِرَامِ،

فَإِنَّ النَّاسَ مَجْبُولُونَ عَلَى الزَّلَّاتِ وَالْأَخْطَاءِ،

فَإِنْ اهْتَمَّ الْمَرْءُ بِكُلِّ زَلَّةٍ وَخَطِيئَةٍ تَعِبَ وَأتْعَبَ،وَالْعَاقِلُ الذَّكِيُّ مَنْ لَا يُدَقِّقُ فِي كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ،مَعَ أَهْلِهِ وَأحْبَابِهِ وَأصْحَابِهِ

وَجِيرَانِهِ وَزُمَلَائِهِ كَيْ تَحْلُوَ مُجَالَسَتُهُ وَتَصْفُوَ عِشْرَتُهُ}.

-وَفِي إحْيَاءِ عُلُومِ الدِّين(٢/٩٧)يَقُولُ الْإِمَامُ ابْنُ الْمُبَارَكِ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:{الْمُؤمِنُ يَطْلُبُ الْمَعَاذِيرَ وَالْمُنَافِقُ يَطْلُبُ الزَّلَّاتِ}.

-أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(١٤٦٩)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ، أَوْ قَالَ: غَيْرَهُ}.

-لَا يَخْلُو الْمُؤمِنُ وَالْمُؤمِنَةُ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ؛ فَالْإِيمَانُ يَحْمِلُهُمَا عَلَى وُجُودِ خِصَالٍ مَحْمُودَةٍ.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ الْمُصْطَفَى-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً}، وَ(الْفِرْكُ): الْبُغْضُ، أيْ: لا يَحْصُلُ الْبُغْضُ التَّامُّ لَهَا؛ وَذَلِكَ لأَنَّهُ إنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا، أيْ:

خُلُقًا سَيِّئًا، رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ أَوْ غَيْرَه، أَيْ: رَضِيَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ، فَيَحْمِلُهُ مَا رَضِيَ مِنَ الحَسَنِ، عَلَى الصَّبْرِ عَلَى مَا لَا يَرْضَى مِنَ السَّيِّئِ.

–وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٥٢٢٥)مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ–رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:{كَانَ النَّبِيُّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتِ الَّتِي النَّبِيُّ –

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فِي بَيْتِهَا يَدَ الْخَادِمِ، فَسَقَطَتِ الصَّحْفَةُ فَانْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فِلَقَ الصَّحْفَةِ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ، وَيَقُولُ: غَارَتْ أُمُّكُمْ. ثُمَّ حَبَسَ الخَادِمَ حَتَّى أُتِيَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا، وَأَمْسَكَ المَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْ}.

–كَانَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يحسِنُ مُعَامَلةَ نِسَائِهِ، وَيُرَاعِي عُقُولَهُنَّ وَمَا يَنْشَأُ فِيهِنَّ مِنَ الْغَرَائِزِ وَالْفِطْرَةِ الَّتِي جُبِلْنَ عَلَيْهَا.

–وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يُخْبِرُ أَنَسٌ –رَضِيَ اللَّهُ

تَعَالَى عَنْهُ–أَنَّ النَّبِيَّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

– كَانَ عِنْدَ إِحْدَى نِسَائِهِ، وَهِيَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا–، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ –قِيلَ: هِيَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ زَيْنَبُ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا–، وَقِيلَ: هِيَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ صَفِيَّةُ–رَضِيَ اللَّهُ

تَعَالَى عَنْهَا– {بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ}، وَالصَّحْفَةُ: قَصْعَةٌ مَبْسُوطَةٌ، وَتَكُونُ مِنْ غَيْرِ الْخَشَبِ، وَالْقَصْعَةُ: إِنَاءٌ مِنْ خَشَبٍ، فَضَرَبَتِ الْمَرْأَةُ الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي بَيْتِهَا –وَهِيَ عَائِشَةُ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا– يَدَ الْخَادِمِ الَّذِي جَاءَ بِالصَّحْفَةِ، فَسَقَطَتِ الصَّحْفةُ مِنْ يَدِهِ فَانْفَلَقَتْ، أَيْ: انْشَقَّتْ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِلَقَ –

أيْ قِطَعَ– الصَّحْفَةِ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ وَيَقُولُ للحَاضِرِينَ عِنْدَهُ:{غَارَتْ أُمُّكُمْ} اعْتِذَارًا مِنْهُ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–

؛ لِئَلَّا يُحْمَلَ صَنِيعُهَا عَلَى مَا يُذَمُّ، بَلْ يَجْرِي عَلَى عَادَةِ الضَّرَائِرِ مِنَ الْغَيْرَةِ؛ فَإِنَّهَا مُرَكَّبَةٌ فِي النَّفْسِ، بِحَيْثُ لَا يُقْدَرُ عَلَى دَفْعِهَا، فَلَمْ يُؤَاخِذْهَا – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَلَى صَنِيعِهَا الَّذِي فَعَلَتْهُ مِنَ الْجَانِبِ الْمَعْنَوِيِّ؛ حَيْثُ إِنَّهَا فَعَلَتْ ذَلِكَ بِحَضْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَمَعَهُ أضْيَافُهُ؛ مُرَاعَاةً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–لِمَا رُكِّبَ فِي طَبعِ النِّسَاءِ مِنَ الْغَيْرَةِ، وَلَكِنَّهُ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– حَمَّلَهَا مَا وَقَعَ مِنْ أضْرَارٍ مَادِّيَّةٍ نَتِيجَةَ فِعْلِهَا؛ وَذَلِكَ بِأَنْ مَنَعَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – الْخَادِمَ مِنَ الذَّهَابِ لِصَاحِبَةِ الصَّحْفَةِ حَتَّى جِيءَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا؛ لِتَكُونَ عِوَضًا عَنِ الصَّحْفَةِ الَّتِي كَسَرَتْهَا، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الْخَادِمِ؛ كَيْ يُرْجِعَهَا سَلِيمَةً لِصَاحِبَتِهَا الَّتِي أرْسَلَتْهَا، وَتَرَكَ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– الصَّحْفَةَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ –رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا–.

–وَفِي الْحَدِيث: حُسْنُ خُلُقِهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ، وَإِنْصَافُهُ وَحِلْمُهُ.

–وَفِيهِ: أنَّ الْغَيْرَةَ قَدْ تَقَعُ مِنْ أفْضَلِ النِّسَاءِ، حَتَّى لَوْ كُنَّ زَوْجَاتِ الرَّسُولِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

(ل)أحْسِنْ إِلَى زَوْجَتِكَ وَكُنْ كَرِيمًا مَعَهَا:

–أيُّهَا الزَّوْجُ أحْسِنْ إِلَى زَوْجَتِكَ وَكُنْ كِيمًا مَعَهَا مَادِيًّا وَمَعْنَوِيًّا،فَالْكَرَمُ الْمَادِيُّ بِأَنْ تُنْفِقَ عَلَيْهَا وَتُوَسِّعَ عَلَيْهَا،وَالْكَرَمُ الْمَعْنَوِيُّ بِحُسْنِ خِلُقِكَ وَبِالْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ،إنْ فَعَلْتَ كَسِبْتَ وُدَّهَا وَقَلْبَهَا.

-أخْرَجَ الْإمَامُ الْمُنْذِرِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ بِرَقَمِ(١٩٢٤)مِنْ حَدِيثِ أمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائشَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا-قَالَتْ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأهْلِهِ ، وَأنَا خَيْرُكُمْ لأهْلِي} .

-فِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَظِيمٌ عَلَى مَحَاسِنِ الْإسْلَامِ الَّتِي جَاءَ بِهَا، وَمِنْ جُمْلَتِهَا أنَّهُ جَعَلَ الْإحْسَانَ إلَى الزَّوْجَةِ وَالْعِيَالِ مِنْ أفْضَلِ الْأعْمَالِ وَالْقُرُبَاتِ، وَفَاعِلَهُ مِنْ خِيرَةِ النَّاسِ، قَال صَاحِبُ تُحْفَةِ الْأحْوَذِيّ فِي شَرْحِهِ لِهَذَا الْحَدِيثِ: قَوْلُهُ:{ خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأهْلِهِ }: أيْ لِعِيَالِهِ، وَذَوِي رَحِمِهِ، وَقِيلَ لأزْوَاجِهِ وَأقَارِبِهِ، وَذَلِكَ لِدَلالَتِهِ عَلَى حُسْنِ الْخُلُقِ، {وَأنَا خَيْرُكُمْ لأهْلِي} فَأنَا خَيْرُكُمْ مُطْلَقًا، وَكَانَ أحْسَنَ النَّاسِ عِشْرَةً لَهُمْ، وَكَانَ عَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ.

-وَأخْرَجَ الْإمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٣٠٠) مِنْ حَدِيثِ أمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائشَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا-قَالَتْ:{كُنْتُ أشْرَبُ وَأنَا حَائِضٌ، ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَيَضَعُ فَاهُ على مَوْضِعِ فِيَّ، فَيَشْرَبُ، وَأتَعَرَّقُ العَرْقَ وَأنَا حَائِضٌ،ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِيَّ}.

-كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خَيْرَ النَّاسِ لأهلِهِ، وَأرْفَقَ النَّاسِ وَأرْحَمَهُمْ بِهِمْ، -وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ تُخْبِرُ أُمُّ الْمُؤمِنِينَ عَائِشَةُ -رَضِي اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا -عَنْ فِعْلِ النَّبِيّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَعَهَا وَهِيَ حَائِضٌ، فَكَانَ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إذَا شَرِبَتْ وَنَاوَلَتْهُ الْإنَاءَ يَضَعُ فَاهُ عَلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَتْ تَضَعُ عَلَيْهِ فَاهَا، وَإذَا تَعَرَّقَتِ الْعَرْقَ (وَهُوَ الْعَظْمُ الَّذِي عَلَيْهِ بَقِيَّةٌ مِنْ لَحْمٍ) أكَلَ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَتْ تَأْكُلُ مِنْهُ، وَكَانَ ذَلِكَ تَطْيِيبًا لِقَلْبِهَا، وَإذْهَابًا للحُزْنِ الَّذِي يَأتِيهَا وَقْتَ الْحَيْضِ.

-وَفِي الْحَدِيثِ: رِفْقُ النَّبِيّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بنِسَائِهِ خَاصَّةً وَقتَ الْحَيْضِ؛ فَإنَّ الْمَرْأةَ أحْوَجُ مَا تَكُونُ إلَى الرّفْقِ فِي هَذَا التَّوْقِيتِ.



-مِنْ خِلَالِ مَنْهَجِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ هُنَاكَ جُمْلَةٌ مِنَ الْوَصَايَا للزَّوْجَةِ إِنْ قَامَتْ بِهَا خَيْرَ قِيَامٍ اسْتَطَاعَتْ أَنْ تَكْسِبَ قَلْبَهُ،وَكَانَتِ الْأُسْرَةُ سَكَنًا وَمَوَدَّةً وَمِنْهَا:

(أ)الابْتِسَامَةُ عِنْدَ لِقَائِهِ:

-أَيَّتُهَا الزَّوْجَةُ اعْلَمِي أَنَّ الْبَسْمَةَ فِي وَجِهِ زَوْجِك ابْتِغَاء مَرْ ضَاةِ اللهِ عِبَادَةٌ ، وَسَبَبٌ لِكَسْبِ قَلْبِهِ،وَتَحْقِيقِ السَّكَنِ وَالْمَوَدَّةِ.

-أَخْرَجَ الْإِمَامُ النَّسَائِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(٣٢٣١)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ ؟ قَالَ :{الَّتِي تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ ، وَلَا تُخَالِفُهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهَا بِمَا يَكْرَهُ}.

-الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ الَّتِي يُحِبُّهَا زَوْجُهَا هِيَ كَنْزُهُ فِي الدُّنْيَا، وَخَيْرُ مَتَاعِهَا، وَخَيْرُ النِّسَاءِ فِيهَا.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ:قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ}؟ أَيْ: أَفْضَلُهُنَّ، وَأَكْثَرُهُنَّ بَرَكَةً للزَّوْجِ؟ فَأَجَابَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ:{الَّتِي تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ}، أَيْ: هِيَ الَّتِي تُعْجِبُهُ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا؛لابْتِسَامَتِهَا الْجَمِيلَةِ،وَلِحُسْنِهَا عِنْدَهُ، وَمَا هِيَ عَلَيْهِ مِنْ زِينَةٍ وَنَظَافَةٍ، وَقِيلَ: لِدَوَامِ اشْتِغَالِهَا بِالطَّاعَاتِ،{وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ}، أَيْ: إِذَا أَمَرَهَا بِمَعْرُوفٍ لَيْسَ فِيهِ مَعْصِيَةٌ، أَطَاعَتْهُ، وَسَعَتْ فِي تَلْبِيَةِ حَاجَتِهِ، {وَلَا تُخَالِفُهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهَا بِمَا يَكْرَهُ}، أَيْ: لَا تَفْعَلُ الْفَاحِشَةَ، أَوْ تُنْفِقُ مَالَهُ فِيمَا لَا يُحِبُّ، أَوْ مَا لَا يَحِلُّ الْإِنْفَاقُ فِيهِ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِمَّا يَكْرَهُ الزَّوْجُ، وَقِيلَ: ذُكِرَ الضَّمِيرُ فِي الْمَالِ عَائِدًا عَلَى الزَّوْجَةِ، وَالْمَعْنَى: مَالُهُ الَّذِي بِيَدِهَا؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَا

تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ} .(النِّساء: ٥)، أوِ الْمِلْكِيَّةُ عَلَى حَقِيقَتِهَا للمَرْأةِ؛ لِضِيقِ حَالِ الزَّوْجِ، وَيُسْرِ حَالِ زَوْجَتِهِ.

-وَفِي الْحَدِيثِ: الْحَثُّ فِي الزَّوَاجِ عَلَى طَلَبِ ذَاتِ الدِّينِ .

(ب)اسْمَعِي وَأطِيعِي فِي الْمَعْرُوفِ:

-أيَّتُهَا الزَّوْجَةُ إنَّ طَاعَتَكِ لأمْرِ زَوْجِكَ فِي الْمَعْرُوفِ حَقٌّ مِنْ حُقُوقِهِ عَلَيْكِ وَهُوَ سَبِيلٌ لِكَسْبِ قَلْبِهِ وَدَوَامِ حُبِّهِ وَوُدِّهِ.

-أخْرَجَ الْإمَامُ أحْمَدُ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعالَى-فِي مُسْنَدِهِ بِرَقَمِ(١٦٦١)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعالَى عَنْهُ-

قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

-:{إذَا صَلَّتِ الْمَرْأةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا ،وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا وَأطَاعَتْ زَوْجَهَا، قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أيِّ أبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ}.

-للمَرْأةِ الصَّالِحَةِ -الَّتِي تُؤَدِّي فُرُوضَهَا وَتُطِيعُ زَوْجَهَا- مَكَانَةٌ كَبِيرَةٌ عِنْدَ رَبِّهَا، فَيَرْضَى عَنْهَا، وَيُخَيِّرُهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ للدُّخُولِ مِنْ أيِّ أبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَتْ.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{إذَا صَلَّتِ الْمَرْأةُ خَمْسَهَا} يَعْنِي: إذَا أدَّتِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ الْمَكْتُوبَاتِ كَمَا يَنْبَغِي وَحَافَظَتْ عَلَى أوْقَاتِهَا، {وَصَامَتْ شَهْرَهَا}، أيْ: شَهْرَ رَمَضَانَ وَأتَمَّتْ مَا فَاتَهَا مِنْهُ لِعُذْرٍ، {وَحَصَّنَتْ فَرْجَهَا} بِأنْ حَفِظَتْهُ عَنِ الْحَرَامِ، كَالزِّنَا وَالسِّحَاقِ وَغَيْرِهِ، وَالْفَرْجُ يُطْلَقُ عَلَى القُبُلِ وَالدُّبُرِ، وَأكْثَرُ اسْتِعْمَالِهِ عُرْفًا فِي القُبُلِ، {وَأطَاعَتْ زَوْجَهَا}، أيْ: فِي كُلِّ مَا يَتعلَّقُ بِحُقُوقِهِ الْمَشْرُوعَةِ، وَفِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، {قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أيِّ أبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ} يَعْنِي: يُنَادَى عَلَيْهَا مِنْ أبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ، تَكْرِيمًا وَتَشْرِيفًا؛ لأنَّ هَذِهِ الْخِلَالَ هِيَ أُمَّهَاتُ أفْعَالِ الْخَيْرِ، وَأسْبَابُ دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَإذَا وَفَّتْ بِهَا الْمَرْأةُ وُقِيَتْ شَرَّ مَا عَدَاهَا.

(ج)لَا تَمْنَعِي نَفْسَكِ مِنْ زَوْجِكِ إِلَّا لِعُذْرٍ:

-أَيَّتُهَا الزَّوْجَةُ إِذَا دَعَاكِ زَوْجُكِ لِلفِرَاشِ فَاسْمَعِي وَأَطِيعِي وَلَا تَمْنَعِي نَفْسَكِ مِنْهِ فَتُطْرَدِي وَتُلْعَنِي إِلَّا مِنْ عُذْرٍ شَرْعِيّ كَحَيْضٍ أَوْ نِفَاسٍ أَوْ مَرَضٍ،تَكْسَبِي قَلْبَهُ،وَيَدُومُ لَكِ وُدُّهُ.

-أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ(٣٢٣٧)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ}.

-فَالزَّوَاجُ عَلَاقَةٌ شَرْعِيَّةٌ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، وَقَدْ بَيَّنَ الشَّرْعُ حُقُوقَ وَوَاجِبَاتِ كُلٍّ مِنْهُمَا.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يُبَيِّنُ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-حُكْمَ امْتِنَاعِ الْمَرْأَةِ مِنْ فِرَاشِ زَوْجِهَا إِذَا دَعَاهَا، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنِ الْمُعَاشَرَةِ والجِماعِ، فإذا طَلَبَ الرَّجلُ مِن المرأةِ أنْ يُجامِعَها، فامتنَعَتْ عن إجابتِه، فغَضِبَ عليها زَوجُها، وباتَ على تلك الحالةِ؛ كان عاقبةُ ذلك وَخيمةً على الزَّوجةِ، حيث تَلعَنُها الملائكةُ فتَدْعو عليها بالطَّردِ مِن رَحمةِ اللهِ تعالَى حتَّى الصَّباحِ؛ لأنَّها عَصَتْ زَوجَها ومنَعَتْه حقَّه الشَّرعيَّ، وفي بَعضِ رِواياتِ البخاريِّ: «لعَنَتْها الملائكةُ حتَّى تَرجِعَ»، ومعْنى ذلك: أنَّ اللَّعنةَ تَستمرُّ عليها حتَّى تَزولَ المعصيةُ بطُلوعِ الفجرِ والاستغناءِ عنها، أو بتَوبتِها ورُجوعِها إلى الفِراشِ، ويُستَثْنى مِن ذلك ما لو كان لَدَيها عُذرٌ شَرعيٌّ مِن مَرَضٍ ونَحوِه؛ فلا حرَجَ عليها.

وفي الحديثِ: دَليلٌ على عِظَمِ حقِّ الزَّوجِ على زَوجتِه.

وفيه: النَّهيُ عن عِصيانِ المرأةِ لزوجِها.

وفيه: دَليلٌ على قَبولِ دُعاءِ الملائكةِ؛ لكونِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ خَوَّف بذلك.

(ج)لَا تَمْنَعِي نَفْسَكِ مِنْ زَوْجِكِ إِلَّا لِعُذْرٍ:

–أَيَّتُهَا الزَّوْجَةُ إِذَا دَعَاكِ زَوْجُكِ للفِرَاشِ فَاسْمَعِي وَأَطِيعِي وَلَا تَمْنَعِي نَفْسَكِ مِنْهِ فَتُطْرَدِي وَتُلْعَنِي إِلَّا مِنْ عُذْرٍ شَرْعِيّ كَحَيْضٍ أَوْ نِفَاسٍ أَوْ مَرَضٍ،تَكْسَبِي قَلْبَهُ،وَيَدُومُ لَكِ وُدُّهُ.

–أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٣٢٣٧)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ}.

–فَالزَّوَاجُ عَلَاقَةٌ شَرْعِيَّةٌ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، وَقَدْ بَيَّنَ الشَّرْعُ حُقُوقَ وَوَاجِبَاتِ كُلٍّ مِنْهُمَا.

–وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يُبَيِّنُ النَّبِيُّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–حُكْمَ امْتِنَاعِ الْمَرْأَةِ مِنْ فِرَاشِ زَوْجِهَا إِذَا دَعَاهَا، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنِ الْمُعَاشَرَةِ وَالْجِمَاعِ، فَإِذَا طَلَبَ الرَّجُلُ مِنَ الْمَرْأَةِ أَنْ يُجَامِعَهَا، فَامْتَنَعَتْ عَنْ إِجَابَتِهِ، فَغَضِبَ عَلَيْهَا زَوْجُهَا، وَبَاتَ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ؛ كَانَ عَاقِبَةُ ذَلِكَ وَخِيمَةً عَلَى الزَّوْجَةِ، حَيْثُ تَلْعَنُهَا الْمَلَائِكَةُ فَتَدْعُو عَلَيْهَا بِالطَّرْدِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى الصَّبَاحِ لِأَنَّهَا عَصَتْ زَوْجَهَا وَمَنَعَتْهُ حَقَّهُ الشَّرْعِيَّ، وَفِي بَعْضِ رِوَايَاتِ الْبُخَارِيِّ:{لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تَرْجِعَ}، وَمَعْنَى ذَلِكَ: أَنَّ اللَّعْنَةَ تَسْتَمِرُّ عَلَيْهَا حَتَّى تَزُولَ الْمَعْصِيَةُ بِطُلُوعِ الْفَجْرِ وَالِاسْتِغْنَاءِ عَنْهَا، أَوْ بِتَوْبَتِهَا وَرُجُوعِهَا إِلَى الْفِرَاشِ، وَيُسْتَثْنَى مِنْ ذَلِكَ مَا لَوْ كَانَ لَدَيْهَا عُذْرٌ شَرْعِيٌّ مِن مَرَضٍ وَنَحْوِهِ؛ فَلَا حَرَجَ عَلَيْهَا.

–وَفِي الْحَدِيثِ: دَلِيلٌ عَلَى عِظَمِ حَقِّ الزَّوْجِ عَلَى زَوْجَتِهِ.

–وَفِيهِ: النَّهْيُ عَنْ عِصْيَانِ الْمَرْأَةِ لِزَوْجِهَا.

–وَفِيهِ: دَلِيلٌ عَلَى قَبُولِ دُعَاءِ الْمَلَائِكَةِ؛ لِكَوْنِهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–خَوَّفَ بِذَلِكَ.

(د)وَصَايَا ذَهَبِيَّةٌ لِدَوَامِ الْمَوَدَّةِ:

•وَأَخْتِمُ هَذِهِ الْوَصَايَا بِوَصِيَّةٍ جَامِعَةٍ لِمَا يَجِبُ أَنْ تَكُونِيَ عَلَيْهِ أَيَّتُهَاالزَّوْجَةُ فِي بَيْتِكِ،وَكَيْفَ تُعَامِلِينَ زَوْجَكِ،لِتَدُومَ الْمَوَدَّةُ وَيَتَحَقَّقُ السَّكَنُ،قَدَّمَتْهَا أَعْرَابِيَّةٌ حَكِيمَةٌ عَاشَتْ فِي ظَلِّ

الْجَاهِلِيَّةِ وَمَاتَتْ قَبْلَ مَجِيءِ رَسُولِ اللهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–بِنُورِ الْإِسْلَامِ،هَذِهِ الْأَعْرَابِيَّةُ الْحَكِيمَةُ صَاحِبَةُ الْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ وَالْآدَابِ السَّامِيَةِ هِيَ

(أُمَامَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ)زَوْجُ عَوْفِ بْنِ مُحَلِّمٍ الشَّيْبَانِيِّ،وَالَّتِي زُفَّتْ ابْنَتُهَا(أُمُّ إِيَاسٍ) إِلَى

(الْحَارِثِ بْنِ عَمْرٍو)مَلِك(كِنْدَة)،فَلَمَّا أَرَادُوا أَنْ يَحْمِلُوهَا إِلَى زَوْجِهَا قَالَتْ لَهَا أُمُّهَا:

(أَيْ بُنَيَّة، إِنَّ الْوَصِيَّةَ لَوْ تُرِكَتْ لِفَضْلِ أَدَبٍ، تُرِكَتْ لِذَلِكَ مِنْكِ، وَلَكِنْهَا تَذْكِرَةٌ لِلغَافِلِ، وَمَعُونَةٌ لِلعَاقِلِ.

وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً اسْتَغْنَتْ عَنِ الْخُرُوجِ لِغِنَى أَبَوَيْهَا، وَشِدَّةِ حَاجَتِهِمَا إِلَيْهَا؛كُنْتِ أَغْنَى النَّاسِ عَنْهُ، وَلَكِنَّ النِّسَاءَ لِلرِّجَالِ خُلِقْنَ، وَلَهُنَّ خُلِقَ الرِّجَالُ.

أَيْ بُنَيَّة، إِنَّكِ فَارَقْتِ الْجَوَّ الَّذِي مِنْهُ خَرَجْتِ، وَخَلَّفْتِ الْعُشَّ الَّذِي فِيهِ دَرَجْتِ، إِلَى وَكْرٍ لَمْ تَعْرِفِيهِ، وَقَرِينٍ لَمْ تَأْلَفِيهِ، فَأَصْبَحَ بِمِلْكِهِ عَلَيْكِ رَقِيبًا وَمَلِيكًا،فَكُونِي لَهُ أَمَةً يَكُنْ لَكِ عَبْدًا وَشِيكًا.

أَيُ بُنَيَّة، احْمِلِي عَنِّي خِصَالاً عَشْرًا، تَكُنْ لَكِ ذُخْرًا وَذِكْرًا.

- أَمَّا الْأُولَى وَالثَّانِيَةُ:فَالصُّحْبَةُ بِالْقَنَاعَةِ، وَالْمُعَاشَرَةُ بِحُسْنِ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ.
- وَأَمَّا الثَّالِثَةُ وَالرَّابِعَةُ:فَالتَّعَهُّدُ لِمَوْقِعِ عَيْنِهِ، وَالتَّفَقُّدُ لِمَوْضِعِ أَنْفِهِ؛ فَلَا تَقَعْ عَيْنُهُ مِنْكِ عَلَى قَبِيحٍ، وَلَا يَشُمُّ مِنْكِ إِلَّا أَطْيَبَ رِيحٍ.وَالْكُحْلُ أَحْسَنُ الْحُسْنِ الْمَوْجُودُ، وَالْمَاءُ أَطْيَبُ الطِّيبِ الْمَفْقُودُ.
- وَأَمَّا الْخَامِسَةُ وَالسَّادِسَةُ:فَالتَّعَهُّدُ لِوَقْتِ طَعَامِهِ، وَالْهُدُوُّ عَنْهُ عِنْدَ مَنَامِهِ؛ فَإِنَّ حَرَارَةَ الْجُوعِ مَلْهَبةٌ، وَتَنْغِيصَ النَّوْمِ مَغْضَبَةٌ.

•وَأَمَّا السَّابِعَةُ وَالثَّامِنَةُ: فَالاحْتِفَاظُ بِبَيْتِهِ وَمَالِهِ، وَالْإِرْعَاءُ عَلَى نَفْسِهِ وِ◌َحشَمِهِ وَعِيَالِهِ، وَمِلَاكُ الْأَمْرِ فِي الْمَالِ حُسْنُ التَّقْدِيرِ، وَفِي الْعِيَالِ وَالْحَشَمِ حُسْنُ التَّدْبِيرِ.

•وَأَمَّا التَّاسِعَةُ وَالْعَاشِرَةُ: فَلَا تُفْشِي لَهُ سِرًّا، وَلَا تَعْصِي لَهُ أَمْرًا؛ فَإِنَّكِ إِنْ أَفْشَيْتِ سِرَّهُ لَمْ تَأْمَنِي غَدْرَهُ، وَإِنْ عَصَيْتِ أَمْرَهُ أَ◌َوْغَرْتِ صَدْرَهُ.

•ثُمَّ اتَّقِي مَعَ ذَلِكَ الْفَرَحَ إِنْ كَانَ تَرِحًا، وَالاكْتِئَابَ عِنْدَهُ إِنْ كَانَ فَرِحًا؛ فَإِنَّ الْخَصْلَةَ الْأُولَى مِنَ التَّقْصِيرِ، وَالثَّانِيَةَ مِنَ التَّكْدِيرِ.

•وَكُونِي أَشَدَّ مَا تَكُونِينَ لَهُ إِعْظَامًا؛ يَكُنْ أَشَدَّ مَا يَكُونُ إِكْرَامًا.

•وَأَشَدَّ مَا تَكُونِينَ لَهُ مُوَافَقَةً؛ يَكُنْ أَطْوَلَ مَا تَكُونِينَ لَهُ مُرَافَقَةً.

•وَاعْلَمِي أَنَّكِ لَا تَصِلِينَ إِلَى مَا تُحِبِّينَ حَتَّى تُؤْثِرِي رِضَاهُ عَلَى رِضَاكِ، وَهَوَاهُ عَلَى هَوَاكِ، فِيمَا أَحْبَبْتِ وَكَرِهْتِ، وَاللَّهُ يَخِيرُ لَكِ".

–فَحُمِلَتْ فَسُلِّمَتْ إِلَيْهِ، فَعَظُمَ مَوْقِعُهَا مِنْهُ، وَوَلَدَتْ لَهُ الْمُلُوكَ السَّبْعَةَ الَّذِينَ مَلَكُوا بَعْدَهُ الْيَمَنَ.

(انْظُر:التَّذْكِرَة الحَمْدُونِيَّة":"٣/٣٤٤:٣٤٣"رقم "١٠٠٨").

•فَانْظُرْ يَا طَالِبَ الْعِلْمِ هَذِهِ امْرَأَةٌ عَاشَتْ فِي ظِلِّ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَكَلَّمَتْ بِهَذِهِ الحِكْمَةِ وَوَضَعَتْ أُصُولاً لِلتَّرْبِيَةِ،وَمَعَايِيرًا

لاسْتِقْرَارِ الْبَيْتِ ،فَكَيْفَ لَوْ أَدْرَكَتِ الْإِسْلَامَ وَاسْتَضَاءَتْ بِنُورِ الْقُرْآنِ،وَتَعَلَّمَتْ مِنَ النَّبِيِّ الْعَدْنَانِ؟!

•فَاللَّهُمَّ احْفَظْ لَنَا نِسَاءَنَا،وَأَوْلَادَنَا،وَكَثِّرِ الْخَيْرَ فِي بُيُوتِ الْمُسْلِمِينَ،وَيَسِّرِ الزَّوَاجَ لِشَبَابِ وَبَنَاتِ الْمُسْلِمِينَ،وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

صفحة الشيخ علي الموسوعة في الفيسبوك

https://www.facebook.com/%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%8A%D8%AE-%D8%B3%D9%8A%D9%91%D9%90%D8%AF-%D8%B9%D9%8E%D8%A8%D9%92%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D9%92%D8%B9%D9%8E%D8%A7%D8%B7%D9%90%D9%8A-%D8%A8%D9%92%D9%86-%D9%85%D9%8F%D8%AD%D9%8E%D9%85%D9%91%D9%8E%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B0%D9%91%D9%8E%D9%87%D9%8E%D8%A8%D9%90%D9%8A%D9%91%D9%8F-110240121309782/?ref=pages_you_manage

صفحة الشيخ وكتبه علي موقع نور

https://www.noor-book.com/%D9%83%D8%AA%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%8A%D8%AE-%D8%B3%D9%8A%D8%AF-%D8%B9%D8%A8%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D8%B7%D9%8A-%D8%A8%D9%86-%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B0%D9%87%D8%A8%D9%8A-pdf

الحمد لله رب العالمين

مع تحيات موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية